هدف الحياة

كانت طبيعة الحياة وما زالت ايجابية لا سلبية ، اي ان خلايا الحياة التي تخلقت لم تنكمش وتمت ، وانما امتصت شيئاً مما حولها وتضخم حجمها ، فلما بلغ حداً معيناً انقسمت كل خلية الى قسمين.ثم لم ينكمش القسم الواحد منها ولم يمت وانما امتص شيئاً مما حوله وتضخم حجمه فلما بلغ حداً معيناً انقسم كل قسم منه الى قسمين آخرين حتى امتلأت اماكن كثيرة من الكرة الارضية بالحياة . وهنالك صفة اخرى للحياة غير صفتها هذه ، وهي نزعتها الى الصعود من البسيط الى المركب ومن السهل الى المعقد . فكتل الحياة التي ظهرت بادىء ذي بدء لم تكتف بان تتكاثر ولكنها اخذت تتركب وتتعقد ، فكان من الخلايا اجسام هلامية ثم كان منها اجسام ذات مفاصل ثم ذات عيون ومعد وارجل وأيد ثم ذات حواس وزعانف واجنحة واظلاف وانداء وادمغة . وهنالك هدف آخر للحياة بارز يضاف الى صفتها السابقتين الا وهو الجمال . فاننا اذ نتتبع حركة الحياة من الفرد الى الجماعة ومن البسيط الى المركب نعاين صفة الجمال تتمشى مع ذلك باطراد لا خلل فيه. نعم قد نختلف في مقاييس الجمال وقد نرى في مرحلتين متقاربتين من مراحل تطور الحياة شذوذاً عن هذه القاعدة ، ولكن اتجاه الحياة هو نحو الجمال ، وذلك ملحوظ في تطور النبات والحيوان والانسان .

تلك بعض الاتجاهات التي نعرفها في الحياة ، اتجاهات تدل على اشتقاق من العدم – من الجماد ، وتدل على ان الاجسام الحية والجامدة ترتد الى شيء واحد ، اتجاهات تدل على ان الحياة تتقدم ولا تتقهقر ، وتتقدم من البسيط الى المركب ومن القبيح الى الجميل ، او بعبارة اصح من الجميل الى الاجمل .

فالجماد قد سبق في هذه الدنيا وجود الحي ، والحياة المتحركة في النبات والحيوان والحياة الواعية في الانسان استمرار لصفات الجماد ليس الا . فالمادة هي الاساس الذي ارتكزت عليه الحياة وانبثقت منه ، وهي التي ادت الى وجود الانسان والى وجود ما هو اسمى ما في الانسان – العقل . فالعقل مادة تتدرج منها تيارات ، او ما شئت فقل ، فيكون من ذلك ما نعلم من الفكر ولو كان عالياً ، ويكون منه ما نرى من ترقي الفكر باستمرار واطراد نموه الى الامام .

وليست المادة اصلا من الناحية العضوية فحسب ، ولكنها اصل من الناحية الفكرية كذلك . فليس الفكر هو الذي يخلق المادة ، ولكن هذه المادة الجامدة هي التي تخلق هذا الفكر العالي السامي . وهذا عكس ما يسمى احياناً كثيرة « المثالية » . ان العالم بطبيعته مادي ، وان مظاهر العالم المتنوعة انما تؤلف اشكالا مختلفة ومتحركة من المادة . وان هذه المظاهر ليعتمد بعضها على بعض ، وهي قانون هذا العالم المادي الذي يتطور ويتحرك . وبلغة هيراكليتوس اليوناني القديم « ان العالم يتألف من اجزاء موحدة .. ولقد كان وسيظل شعلة حية تلتهب بنظام وتدثر بنظام » .

اما هذا الشر الذي اخذ يتراكم في العصر الحديث حتى اصبح الفتك بالقنبلة الذرية صورة له ، فانه يولد في الوقت نفسه كرهاً للقتل والتدمير يتراكم على صورة اشد . وفي هذا مساق ينسجم مع هدف الحياة الذي نحدثنا عنه . ومـا الشر الذي اشرنا اليه الا تعكير بعض الناس من شديدي النفوذ ومن الذين يتسمون بالبلادة والانحراف والخوف ، يظنون ان فكرة الذئب والحمل هي طبيعة الحياة فيمكرون على انفسهم وعلى الناس سير الركب زمناً ، لكن قبضتهم ولا ريب منفكة في النهاية . ومع اننا نعاني كثيراً من ذلك ، وقد نكون في قمة هذه المعاناة من ناحية التاريخ البشري فان هذا التعكير في نظر الحياة التي ظهرت على وجه الارض منذ ١٦٠٠ مليون عام ، لا يساوي جناح بعوضة . قال هـ . ج ويلز « ان فجر المدينة الباكر لم يبزغ بعد » ، وقد صدق فان ما تم الى اليوم ان هو الا تجارب في سبيل الحياة . وهذه التجارب تقوم بها بشرية اشتقت من مادة الحياة الايجابية التي تندفع الى الامام ، ولولا ذلك لكانت مجموع خطوات البشرية الى الوراء لا الى الامام ولسار الناس من سيء الى اسوأ ومن معقد الى ابسط ومن قبيح الى اقبح ولكن كل شيء على العكس ، وعندما يخلص عدد كاف من البشر ، وقد خلصوا او كادوا ، الى فهم هدف الحياة فسيبزغ عندئذ ، وقد بزغ او كاد ، فجر الحياة الصحيحة وطوبى يومئذ للناس .

عمان — محمد اديب العامري

لنفترق ...

☆

للآنسة نازك الملائكة

•

بغداد

☆

لنفترق الآن ، ما دام في مقلتينا بريق
وما دام في قعر كأسي وكأسك بعض الرحيق
فعما قليل يطل الصباح ، ويخبو القمر
ونلمح في الضوء ما رسمته اكفّ الفجر
على جبهتينا
وفي شفتينا
وندرك أن الشعور الرقيق
مضى ساخراً وطواه القدر

***

لنفترق الآن . ما زال في شفتينا نغم
تكبّر ان يكشف السر ، فاختار صمت العدم
وما زال في قطرات الندى شفة تتغنى
وما زال وجهك مثل الظلام له الف معنى
كسته الظلال
جمال المحال
وقد يعتريه جمود الصنم
اذا رفع الليل كفّيه عنا

***

لنفترق الآن .. أسمع صوتاً وراء النخيل
رهيباً ، أجشّ الصدى ، يذكّرني بالرحيل
واشعر كفيك ترتعشان ، كأنك تخفي
شعورك مثلي وتحبس صرخة حزن وخوف
لم الارتجاف ؟
وفيم نخاف ؟
ألسنا سندرك عما قليل
بان الغرام غمامة صيف ؟

***

لنفترق الآن ، كالغرباء ، وننس الشعور .
وفي الغد يشرق دهر جديد وتمضي عصور
وفيم التذكر ؟ هل كان غير رؤى عابره
اطافت هنا برفيقين في ساعة غابره ؟
وغير مساء
طواه الفناء
وابقى صداه وبعض سطور
من الشعر في شفتي شاعره ؟

***

لنفترق الآن ، اشعر بالبرد والخوف دعنا
نغادر هذا المكان ونرجع من حيث جئنا
غريبين نسحب عبء ادكاراتنا الباهته
وحيدين نحمل اصداء قصتنا المائته
لبعض القبور
وراء العصور
هنالك لا يعرف الدهر عنا
سوى لون أعيننا الصامتة

سحر باريس

بقلم الدكتور عثمان امين
استاذ الفلسفة بجامعة فؤاد الاول



سنة ١٩١٠ مثلت رواية « اوديب الملك » على مسرح أورانج القديم . وكان الثري الاميركي « كارنجي » من شهود الرواية ، فاعجب بها أيما اعجاب . وما كاد التمثيل ينتهي حتى نهض مهنئاً مدير المسرح في حماسة ، ووجه اليه السؤال التالي :

« كم من الدولارات تلزم لاخراج هذه المسرحية في أمريكا على هذا النحو ؟ » فاجابه المدير الفرنسي : « مع الاسف يا مسيو كارنجي ، ليست الدولارات هي الشيء المطلوب ، بل يلزم الفان من السنين ! »

هذه الحكاية الواقعية تعبر في نظري خير تعبير عما اريد ان انقله الى القراء من صور سريعة عن باريس ، كما ارتسمت في نفسي ؛ فانا اعلم ان آلاف المجلدات قد كتبت عن « مدينة النور » التي تثير عند الناس جحافل الذكريات بما انطوى فيها من المعرفة والفن والحياة والاحلام . وما اظن تلك المؤلفات العديدة استطاعت ان تكشف عن مكامن السحر في باريس ، او ترفع الستر عن سرها العجيب . ولست اطمع في ان اصل من ذلك ، في سطور معدودات ، الى اكثر مما وصل اليه غيري. ولكنها تحية محب مشوق ، واعتقد ان الانسان لا يستطيع ان يفهم باريس ما لم يكن يحملها من قبل في قلبه.

وقد عشت في باريس ثمانية اعوام قبل الحرب الاخيرة، ثم غبت عنها اثني عشر عاماً، فما انطفأت لشوقي اليها نار. وها انذا اعود اليها، واقضي فيها اكثر من شهرين، واجدني ما زلت مفتوناً بما يقع عليه الحس من محاسنها، ماخوذاً بما يلمحه الذهن من دقائقها .

الحق ان باريس ساحرة : انها تنشر السحر ، كما تجمع النحلة الشهد المصفى . وسحر باريس لا ينبعث فحسب من جوها ومسارحها ومتاحفها وحدائقها وميادينها ومقاهيها ومطاعمها ونسائها وازيائها ، بل سحرها كامن في روحها . وتسألونني عن روح باريس . اقول : روحها من امر ربها . نعم ان روح باريس شيء اصيل لا ينقل ولا يستعار ، ولا يشترى ولا يباع ، ولا يقوم بالدولارات ، ولا يستطاع فيه استيراد ولا تصدير . روح باريس من خصائص المزاج الفرنسي الذي يحلو له دائماً ان يسخر من اهل الصلف والغرور وذوي الرتب والالقاب واصحاب الجاه والسلطان ، وكانه يلتمس بذلك ان يثأر لنفسه من اضطراره الى الخضوع لهم احياناً تحت ضغط القوانين والاوضاع . وتتجلى هذه الروح خاصة عند المغنين في مسارح « مونمارتر » وملاهي « سان جرمان دي بريه » روح هي في الغالب شعرية عميقة وان تكن تتخذ ستار الخفة والمزاح.

من روح باريس هذه يتعلم الانسان كثيراً : يتعلم كيف يخفف من غلوائه ، وكيف يحد من انانيته ، وكيف يرضي الناس ، وكيف يكون دائماً حاضر البديهة ، وكيف يكون طلعة بغير فضول ، وكيف يتذوق الجمال على اختلاف صوره والوانه . وبروح باريس تصبح الحياة كلها مسرحاً نافعاً لمن اراد ان يفتح عينيه ، دون ان يحيد عن القاعدة الذهبية الباريسية : «لا تستكثر شيئاً، ولا تدهش من شيء !» ذلك ان من تنفس هواء باريس وامتزج بروحها اصبحت له فلسفة ابنائها التي الخصها في كلمتين : « افهم واعف » . نعم لا بد لابن باريس ـ وابن باريس من كان مستعداً دائماً لان يقبس من نارها ونورها ، سواء كان فرنسياً او اجنبياً ـ اقول لا بد له من فلسفة، قوامها الفهم لكل شيء، والعفو عن كل شيء. ذلك ان ابن باريس واجد دائماً على ضفاف « السين » صائد سمك ملقياً بسنارته في الماء، وقد شغل بها عمن حوله؛ وهو واجد في ميدان «الكاروسل» صديقاً للطير ، وقد اعرض عما يحيط به من ضجيج، واخذ يقدم الحب بيده للحمام الذي أنس اليه واطمأن لقربه؛ وهو واجد، على اريكة في احدى الحدائق العامة، فتى وفتاة يتناجيان على مرأى من الناس دون ان يحفلا باحد او ان يحفل بهما احد .

ويغلب على ظني ان فلسفة باريس هذه قد جعلت الباريسي، كما قال بعض القدماء ، « خبيراً باهل زمانه، عاكفاً على شانه» او كما نقول اليوم في مصر : «رجلا واعياً ولكنه في حاله». من اجل ذلك قد لا تجد باريسياً ذا كرامة يرضى لنفسه ان يتدخل في امور غيره ، او يسعى بالغيبة والنميمة بين الناس : فابناء باريس ، على شدة فطنتهم وحدة ذكائهم ، لا ترى فيهم من برع في « فن المقالب » او تفنن في نصب المكايد : فقد رأوا ان الحياة على الارض قصيرة لا تحتمل ذلك العبث البغيض الذي يدل على تفاهة صاحبه وسخافة عقله .

وباريس اشبه بالجامعة الحية للشعب الفرنسي : فكل متحف من متاحفها ، وكل مسرح من مسارحها ، بل كل مقهى من مقاهيها ، يمكن ان يقوم مقام قاعة المحاضرات في بعض الجامعات ولعل اول ما يسترعي التفات الاجنبي في باريس المكان الملحوظ الذي تشغله اللغة الفرنسية في حياة الناس ومجتمعاتهم . ويبدو كما قال « بول فالري » انه « ليس على الارض مكان يبلغ فيه ورود اللغة ودورانها على الالسن ورنينها في الاسماع ما يبلغه في باريس ؛ فبفضلها تركزت في اللغة الفرنسية آداب الامة وعلومها وفنونها وسياستها » وإنك لتشعر هناك بان الباريسيين يحبون لغتهم حبا طريفاً لا نظير له بين انواع الحب الاخرى ؛ انه حب

يزيد بالممارسة ويرحب بالمشاركة: ومن اجل هذا تراهم يتلذذون من التحدث بلغتهم قدر ما يتلذذون من سماعها من غيرهم ، حتى ليخيل اليك احياناً ان الباريسيين جميعاً قد فطروا على الحديث الممتع والقول الفصيح . وقد تلقى امرأة شابة جميلة في احد المتاحف او المسارح او المتنزهات ، وتتحدث اليها ، فتلقى عجباً حين تجد انها تحمل ذخيرة طيبة من العقل والذوق والثقافة وفن الحياة وفي المطعم او المقهى او الشارع او الحديقة ، يلمح الانسان تلك الابتسامة الباريسية الرقيقة التي ترد الانسان الى صوابه في لين وهوادة ، ويرى ميلا طبيعياً الى كل ما هو جميل وطريف ، ويلمس ادباً رفيعاً وحساً دقيقاً وظرفاً بالغاً ، ويتبين فهماً شاملا وتسامحاً انسانياً هو مزيج من التجارب العديدة .

وباريس عاصمة الفكر والروح ؛ ومن اجل ذلك كانت دائماً كعبة الاحرار والمفكرين ، وموئل الادباء والفنانين . وليس معنى هذا ان جميع الافكار المبتكرة تصدر دائماً عن باريس ؛ بل ان منها ما هو خاص بها صادر عنها ، ومنها ما هو وافد اليها مار بها ، ولكنه انطبع بطابعها واصطبغ بصبغتها : فالفنان الاميركي الشاب يرى السعادة كلها في الارتحال الى باريس ليعمل في « مونبارناس » . وقارىء « بلزاك » و« بروست » و« شارل بيجي » و« اناتول فرانس » يود ان يقف على بيئة هؤلاء الادباء الافذاذ الذين استمتع بقراءة مؤلفاتهم، وكان لهم الفضل الاكبر في نشر تلك الثقافة العالية التي يدين بها كثير من الناس .

وما عساي ان اقول عن ذهن باريس ، اي عن « الحي اللاتيني » ، مهبط الشبيبة المتوهجة ، وموطن الارواح الهائمة نزحت من الاقطار النائية ، تطلب النور في « السوربون » او في غيرها من الكليات والمعاهد المنثورة على الضفة اليسرى لنهر السين ؟ بولفار سان ميشيل، ـ او بتعبير الطلاب : «بول ميش» ـ رمز للحي اللاتيني ؛ وقد تميز عن سائر شوارع العاصمة بوفرة مكتباته الجميلة ذات التنسيق البديع . وكم للشبيبة المرحة الجادة اللاهية من وقفات وجولات في تلك الاسواق العلمية العجيبة ! و« البانتيون » ـ ضريح رجال فرنسا من العظماء والنابهين ـ يقوم على مقربة من « بول ميش » فيذكر الرائحين والغادين ان الوطن لا ينسى ابناءه العاملين . وما اظن صورة « المفكر » لرودان قد نقشت مصادفة على جدران البانتيون . وما اظن اسم الفيلسوف ديكارت قد اطلق اعتباطاً على الشارع الذي تقع فيه مدرسة العلوم والفنون « بوليتكنيك » .وكثيرون من زوار باريس يتحدثون اليوم عن حي « سان جرمان دي بريه » الذي نال شهرة عالمية منذ نبتت فيه الفلسفة الوجودية . لكن اكثر من يرتادون ذلك الحي قد لا يعرفون عن المذهب الوجودي وعن فلسفة «جان بول سارتر» قدر ما يعرفون عن مجالس الوجوديين وسهراتهم في مقهى « فلور » او «دوماجو» ، وفي كهف «تابو» او ملهى « الوردة الحمراء » ..

فباريس بفطرتها تمثل انطلاق الفكر وانبثاق الروح . وليس فيها شيء يعمل اعتباطاً من غير تدبير ، ولا شيء فيها يجيء زيادة عما يلزم ، بل كل شيء بحساب وتقدير . ومع ذلك يبدو ان الباريسي يضيف من عنده دائماً شيئاً الى الطبيعة ، فتحمل بصمته وعلامته ؛ وكأن غريزته « تعقيل الطبيعة » ان صح هذا التعبير . وقدرة الباريسي على الخلق والافتنان في ذلك المجال قدرة لا تنفد ولا تنتهي، بل تسمو وتزكو على الايام. وكأن الشاعر العربي التفت الى هذه الخصلة الباريسية فعبر عنها حين قال:

الفكر حبل متى يمسك على طرف ... منه ينط بالثريا ذلك الطرف
والعقل كالبحر ما غيضت غواربه ... شيئا ومنه بنو الايام تغترف

وللذوق والاناقة حظ كبير في سحر باريس . والذوق عند اهلها يتخذ مظاهر كثيرة : في تأليف الطعام والهندام ، والروائح والالوان ، وفي تناسب الاوضاع والاشكال وطريقة العرض والتعبير . والاحاديث الباريسية السهلة السريعة اللامعة تضفي على الحياة فيها جواً من الالفة والحرارة والانشراح . والباريسيات الذكيات الحسان المتأنقات يشعن في المجتمع فناً عالياً من الادب والظرف والايناس : في حديثهن وملبسهن وحركاتهن متعة للسمع والبصر والفؤاد . وباريس تعرف دائماً كيف تخلب الباب ضيوفها ، ولا تدخر جهداً في إرضائهم ؛ وهي من هذا الوجه مهرجان دائم يجمع بين ضروب المتع الروحية والحسية: فهي تقدم لهواة المسرح والفن الواناً مختلفة كلاسيكية وحديثة وتقدمية ؛ وفي باريس يظفر الانسان بالليالي الساهرة ، فيها تأتلف الوجوه الفاتنة مع احدث فنون الأزياء وآيات «الموداب» .

وما من واحد ممن عرفوا باريس يشك لحظة في انها عاصمة الجمال . في اي بلد من بلاد العالم يستطيع الانسان ان يجد في تخطيط مدينة من الانسجام والجمال ما يجده في باريس ، حين يحلو له ان يجول بين « الانوال » و«الكاروسل» وبين قصر « بوربون » و« المادلين » ؟ وأية عاصمة تستطيع ان تعرض علينا طريقاً حافلا بالتاريخ كالطريق من « نوتردام » الى « الكونكورد » بين « اللوفر » و« الانستيتو دو فرانس»؟

الشباب في مهب الريح

بقلم وديع فلسطين

يجابه الشباب كثيراً من مشكلات الحياة، نشأت بنشوء الحضارة الحديثة، واتخذت لنفسها طابعاً جديداً لأن البيئة التي عرفها الاسلاف تبدلت فصارت المُثل في مهب الريح، وصار التقليد غير ذي موضوع، وانهارت المبادىء التي كانت تحكم النوازع البشرية، وغلبت المادية الروحية فضللت من الشباب كثيرين. واصبحنا نصطدم بحقائق الحياة المفجعة، فنرى من كان يفترض فيهم ان يحسنوا القدوة للشباب، يسيئون السيرة وينحرفون وراء كسب حرام معجل، أو وراء صفقات تفتح لهم كنوز المال، او وراء مشتهيات كان حرياً بهم ان يأنفوها. ومن يطالع الصحف صباح مساء، ير مصارع الرجال ومصارع الاخلاق، ويرَ الخطيئة تقترف في وضح النهار فلا عتاب ولا ملامة ويرَ الفساد سباقاً الى الكبار قبل الصغار.

فماذا يفعل الشباب وهذه حال القادة، وماذا يصيبون من حظ اذا استقاموا وكدوا وجهدوا ثم استبان لهم آخر الامر ان اماكن الصدارة ليست لهم، وانها من نصيب من لا خلاق لهم، وان القفز الى المناصب والجاه هو لمن اعوج سبيله والتوى مقصده؟ ماذا يفعل الشباب وقد خسروا القدوة، وخسروا المثل، وافتقروا الى الخبرة وأعوزهم الرشاد؟ ماذا يفعل الشباب والتيار عارم مستبد، والغواية في كل مكان، والضمائر تذبح في كل يوم في العلن قبل الخفاء؟ ماذا يفعل الشباب وساسة العالم لا يكادون يفرغون من حرب حتى يتأهبوا لاخرى، ولا يضمدون جراحات حتى ينكأوا غيرها؟ فقد هانت الحياة حتى صار قتل الآلاف - بله الملايين - في الحرب عنصر مباهاة وتفاخر. ولقد قرأت في آخر إحصاء ان عدد الذين قتلوا في حرب كوريا التي انقضى على نشوئها عام ونصف عام يزيد على مليوني نسمة، جلهم من الشباب المرجو ومعظمهم من ارباب العائلات يمثلون ثماني عشرة دولة على القليل.

ماذا يفعل الشباب وهو يرى مفاضلة في المعاملة بين من ارتفعت طبقته الاجتماعية. وبين من انخفض مستواه؟ ماذا يفعل الشباب وهم يجدون الانصاف مفقوداً والعدالة بغير نصير والحق مطوي البنود؟

والى من يلتجىء شباب اليوم يبثونه الشكوى ويطلبون منه النصفة؟ بعضهم يلجأ الى الجريمة، ومن أسف ان الاقدام على الجرائم صار بين الشبيبة اكثر منه بين المتقدمين في السن، وهذا دليل على ان اليأس عرف سبيله الى النفوس في هذه السن المبكرة فجعل الجريمة سبيلا الى تحقيق الاوطار والاغراض. وقد مضى علينا وقت كان فيه القتل هواية والعبث بالسلاح لعبة محببة بين الشبان، فاغتالوا من اغتالوا، وتآمروا على من تآمروا، وتوعدوا من استطاعوا ان يتوعدوه، فغدا الارهاب مالوفاً، يخرج المرء من داره صباحاً، فلا يدري أيعود على قدميه ام يعود محمولا!

وبعضهم يلجأ الى الفرار من الحياة، فما دامت دروبها متشابكة معقدة، وما دام حلها متعذراً، فالسبيل الوحيد هو الفرار من كل تبعة بالتخلص من الحياة. وقد زادت نسبة الانتحار بين

وتزداد هذه المعالم سحراً ويكتسب هذا التاريخ روعة بما يضفيه جو باريس من مظهر لطيف مأنوس، فترى تلك المبتدعات الفنية وقد رقت حواشيها، بتاثير السحب الزرقاء المتصاعدة من «السين»، واصطبغت بالشعاع الذهبي، شعاع «ليل دو فرانس»! ومن ذا الذي اتيح له ان يعيش في الحي اللاتيني، فترة من الزمان، فلم ينعم بمفاتن حديقة «اللوكسمبور»، ولم تهف نفسه إليها بعد ذلك حيث يكون؟

لباريس حساد كثيرون ينفسون عليها وفرة حظها من الفكر والذوق والحساسية، ودوام قدرتها على الاجادة والاتقان والابداع، فلا ينفكون يتلمسون لها المثالب والنقائص والعيوب ولهؤلاء اقول ما قال امير الشعراء احمد شوقي: «باريس، لم يعرفك من يهجوك»؛ واحب ان اذكرهم ايضاً بعبارة «بول فالري» المنقوشة على ناحية قصر «شايو»: «مرجع الامر الى الزائر.. إنه يستطيع ان يجعل مني قبراً او كنزاً.. ايها الصديق، لا تدخل بدون رغبة...»

على اني كثيراً ما تمثلت باريس سيدة كريمة الارومة حسناء الصورة، تعرف قدر نفسها، وتشعر بان كثيرات من السيدات دونها حسناً ومعرفة وذوقاً، وتدرك انهن يشعرن بذلك، فيحقدن عليها، وينددن بها، ويكدن لها - وان كيدهن لعظيم - وقد تشقى هي بكيدهن احياناً، ولكنها سرعان ما تعود الى نفسها، وتفهم دواعي الخصومة، فتصفح عنهن احياناً، وتزداد حباً لنفسها احياناً اخرى؛ وحالها في هذا شبيهة بالحال التي عبر عنها الشاعر العربي حين قال:

لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيض الى كل امرىء غير طائل
واني شقي باللئام ولن ترى شقيا بهم الا كريم الشمائل

القاهرة — عثمان امين

الشباب ، لانهم يئسوا من المستقبل واسودت امامهم الآمال ووجدوا في الهرب مخلصاً مما هم فيه .

وبعضهم يعيش معيشة سلبية ، فلا يضر ، ولكنه لا ينفع . ولا يهدم ولكنه لا يبني . ولا يشكو ولكنه يكبت الشكوى في داخله تغلي كانما في مرجل . ومثل هؤلاء خطر على انفسهم لان زمام الصواب يفلت من ايديهم ، ولذلك تنفتح في كل يوم ابواب مشاقي العقل لتستقبل من اختلطت عليهم ألغاز الحياة فتاهوا في بيدائها . ولو صار كل منا سلبياً ، لامتنع علينا ان نخطو خطوة واحدة الى الامام، سواء في الحياة الروحية او في الحياة المادية

وبعضهم يهجر الناس الى معتكف قصي ، لا يخالط احداً ، ولا يعاشر إنساً . وأياً كان نوع الحياة التي يحياها ، فانه يصبح عدواً للمجتمع أنانياً ، محباً لذاته ، يدفن نفسه وهو لا يزال حياً ويقطع صلاته بالناس ولا يزال هناك ناس .

وبعضهم يركب البحر الى ارض جديدة، كما فعل الاوربيون قديماً حين ذهبوا افواجاً الى العالم الجديد حيث الخلاص من الاضطهاد والبغي .

ولكن هؤلاء جميعاً لا يسلكون سواء السبيل،وذلك لانهم يتركون المشكلات ولا يحلونها ، ويهربون من العقد ولا يسعون الى فك رموزها . وسيظلون في متاهات وبيد مقفرة ، امامهم مشكلات مائلة يصطدم بها جيل ثان من الشباب ، بل لعل هذه المشكلات تزداد امامهم تعقيداً فتزداد بالتالي حيرتهم في حلها ، وتلتوي عليهم المقاصد كما التوت على غيرهم .

وقد نشأت جمعيات الشباب لكي تحل هذه العقد، اي لكي تعين الشباب على شق طريقه بين سحب الحياة المتكاثفة مطمئناً الى سلامة العاقبة . وهذه الجمعيات لا تبشر بالعنف ولا ترتضيه اداة لتحقيق اهدافها ، ولا تدعو الى الهرب من الحياة ، ولا تحرض على مجاراة الناس في اعمالهم وفعالهم، ولكنها تنير السبيل بما توقده من مصابيح كانت مطفأة ، وتبين للشباب ان امراض المجتمع لها طبيب ولها دواء،وان طبيبها ودواءها في الروح لا في المادة

وجمعيات الشباب سعي للخير وعمل للصلاح ودعوة الى البر ورسالة في الحب ونور هاد في ظلمات دامسة . انها طمأنينة حين تثور اسباب الشك،يقين حين تترادف الريب ، ايمان يوم تتزعزع الثقة ، هدوء حين تصطخب من حولنا الامواج . فحسب المرء ان يعلم ان امامه هدفاً سامياً يسعى اليه، وان كل عقبة يمكن تذليلها، وان الحياة لم تخلق عبثاً بل خلقت لحكمة ... حسبه ان يعلم هذا فترد السكينة الى القلب الواجف ، وتهدأ النفس التي وزعها الشك المريب .

كنت منذ اسابيع ازور صديقاً تجاوز السابعة والتسعين من عمره ، وكان مريضاً في فراشه ، بل لعله كان في فترة النقه من مرض شديد الوطأة . فقال لي: بني : الشباب خداع ، والحياة مضللة والايام تجري فلا يستشعر المرء طولها . يسعى الشاب كما سعيت ، وقد ينجح كما نجحت، وينال من الرتب المدنية والعلمية أعلاها مثل ما نلت ، ويأتيه الجاه كما أتاني ، ولكن ماذا بعد هذا السعي؟ هل اطمأن المرء الى راحته،وهل استقرت له الطمأنينة الداخلية التي كان ينشدها وظل يسعى اليها العمر كله؟ ان الوساوس تهاجمني في فراش المرض ، وذكريات الماضي تثور علي وتختلط العلوم المدركة الملموسة بالروحيات التي لا يدركها الا الايمان ، وتتبلبل الخواطر ، ولكنني لا اجد الراحة الا في الاستسلام لله في غير معارضة او مجادلة او ادعاء .

وقال ذلك الشيخ الجليل إن شباب اليوم مسكين لانه مجرب بالغرور وبالنأي عن الروحيات وبالايمان بقدرة البشر غير المحدودة فالشباب في عصر النفاثة والغواصة والذرة والايدروجين والصاروخ المادة يحولها الى طاقة ، والمسافات تختزل بل تلغى،والدمار ينزل في غمضة عين على مدن باسرها ، والمرئيات تنتقل بغير سلك ، والمباني تناطح السحاب ، والمطر ينزل حسب الطلب ، والطب يعيد البصر الى الضرير ويستبدل القلب الانساني بقلب صناعي، ولكن هذه الظواهر جميعاً يجب الا تخدعكم معشر الشباب،لانها مظهر صغير من مظاهر قوة الله غير المدركة، كشفت للبشر بارادة الله ومشيئته،والسلامة والطمأنينة في هذا العصر المادي لا تكون الا في الاتجاه صوب الروحيات .

وقد يقولون قائل ان العصرية تتطلب من الشباب ان يجاري ويساير ، فلا مانع من المحاكاة العمياء في الملبس والمأكل والمسلك والغايات . وقد يقولون : كفى رجعية واستمساكاً، ولننطلق بغير قيود ما دام غيرنا يفعل ذلك وما دام التيار قوياً لا يستطاع صده او اعتراض سبيله . بيد ان هذا القول مجانب للصواب، لان النفس اذا انطلقت على سجيتها متحررة من كل قيد ، صارت وبالاً على ذاتها وانقلبت حرباً على صاحبها . والافراط لا ينجي صاحبه ، فلا بد من ان يستنجزه الثمن حتى وان امهل . وعلة العالم اليوم ان الضوابط والقيود اغفلت، فانساق الساسة في تيار الحرب حتى جعلوها ضرورة لازمة لازبة لا مهرب منها ، وانساق الناس في تيار الاثم ، فتداعت اسس الاخلاق وانفض الناس عن المثل . ولو ارتد الجميع الى الصواب الذي تدعو اليه الروحيات، لبريء العالم من كثير مما هو ممرغ في حمأته اليوم .

ان المستقبل للشباب: في يدهم ان يصلحوا، وفي يدهم كذلك ان يفسدوا. يستطيعون ان يصنعوا الحروب، ويستطيعون كذلك ان يصنعوا السلام . على اكتافهم ستلقى التبعات ، وعليهم ان يحملوها ، فاما الى شر وإما الى خير .

القاهرة — وديع فلسطين

الفراء الابيض

الى قطة

☆

القطّة البيضاءُ .. بعد نوىً   عادت اليّ .. تريد ان تأوي

«.. إلعبْ بطوقي.. واحتصد زغَبي أرأيت قبليَ قطةً تغوي ؟..

او لست هرتك اللعوب انا   فاترك دخانك والتفت نحوي»

أدخلتها .. وغفرت زلتها   لعيون هذا المعطف الشتوي

بكت القطيفة .. من يسرّحها   غيري..ومن للأهذلِ الرخو؟

كفر الوجاق،وقطتي انكمشت   قرب السرير .. خفيتة الشدو

فالفرو .. أحصده ويحصدني   حتى استجار اللهو من لهوي

كانت اصابيعي معي..ومضت   لتشق ادغالا من السرو ..

هدلاء .. رافهة الفراء .. هنا   حضني .. فجري الذيل في زهو

تختي من الزغَب الجميل .. فلا   تستوحشي .. وتذوقي جوّي

وتدلعي .. وترعرعي .. وثبي   وتكومي فرواً على فرو ..

***

يا.. يا مزاحمة الذئاب .. أرى   في ناظريكِ طلائع الغزو ..

البؤبؤ الشيطان .. يرصدني   ومواؤك الوحشي يستهوي ..

لا تخدشيني .. انت طيبة   لمسُ الشرانق كل ما انوي !

جزر الفراء دنت .. اليس لنا   ان نستريح بساحلٍ حلو ..

كنْ يا ضريح الريش.. محتضني   فالغفو فوقك سيد الغفو ..

الغلغلات لديكَ مجدبة   يا ملجأي . يا ماسحاً شجوي

ضاع الفراء معي وضيعني   أترى اعيش لموسم الصحو ؟

***

أنا ان طويتك يا فراء غداً   وغدوت بعضيَ،ماالذي أطوي؟

دمشق   نزار قباني

الاعـداء

بقلم شوقي بغدادي
من رابطة الكتاب السوريين

طالعني وجهه* عند شارع « السنجقدار » فعرفته من بعيد ، وشعرت على الفور بالدماء تهرب من وجهي ، ورايت الماضي كله ، الماضي الذي خيل لي انه انتهى يقفز امامي فجأة في الشارع ، وبين عشرات الناس العابرين . فانتقلت سريعاً الى الرصيف المقابل ، واختلطت بالمارة متجاهلا ذلك الوجه الذي اعرفه ويعرفني . ولكن قبل ان انحرف نحو شارع جانبي سمعت صوتاً مألوفاً عندي ، صوتاً لم اسمعه منذ بضع سنوات ايام كان لي اهل وإخوة واقارب ، سمعته يناديني باسمي المجرد . انه صوته . لقد رآني وعرفني . أنا واثق : ـ محمود .. محمود ..

فتسمرت في مكاني وانتظرت دون ان التفت . وفجأة ، شعرت بذراعين تلتفان حولي ، وبفم يتلمس وجنتي في اندفاع وبصوت متحمس يغمغم :

ـ يا الله .. من كان يحسب اننا سنلتقي يا محمود !.

كنت لا ازال واقفاً كالصنم . لا ادري كيف اتصرف. لولا انني فوجئت بحماسته نحوي ، فانتقلت إلي العدوى شيئاً فشيئاً ، واحسست ان شفتي تنفرجان عن ابتسامة شاحبة ، وان الدماء تعود الى وجهي من جديد ، فقلت في فتور :

ـ اهلا توفيق .. كيف حالك ؟ . ماذا تصنع هنا ؟. فابتسم ابتسامة ساذجة ثم قال :

ـ لقد اخذت البكالوريا السنة . وانتسبت للحقوق . هكذا والدي يريد . وانت يا محمود .. الم تكمل دراستك بعد ؟! .

فتطلعت اليه وانا ابتسم ابتسامة صفراء ثم قلت :ـ مبارك .. اما انا فقد تركت الدراسة منذ امد طويل .

فهزني في لطف وتحبب قائلا : ـ صحيح يا محمود . لماذا فعلت ذلك ؟. لقد كنت ذكياً دائماً !.

فقلت : ـ اليس من الاحسن ان نتكلم ونحن نمشي . ما رأيك لو ذهبت معي الى البيت ..

فتطلع الي باستغراب وقال باندفاع :ـ عظيم . انا في شوق لرؤية بيتك .. وسرنا معاً جنباً الى جنب ، استمع اليه وهو يثرثر في حماسة ويحدثني عن الجامعة ، وعن الدراسة ، وعن الاهل ، دون ان ابس انا ببنت شفة . كنت اتصور طوال الطريق كيف ستستقبله زوجتي . بل ماذا سيكون موقفه عندما يراها ويدخل بيتي . وكنت لا افكر الا انه احد هؤلاء الذين وقفوا مع ابي جبهة واحدة ضدي ، وحاربوني ، ونبذوني كانني لم اكن واحداً منهم يوماً ما . وكنت احس لذة خفية في ان اسوقه معي ليرى البيت الذي اسسته بنفسي ، وبكفاحي وحدي ، وليذهب بعدها فيحدثهم هناك ، في البلد ، عني ، وعن سعادتي التي اغتصبتها بالرغم عنهم ، وليخبرهم كيف استطعت ان استخف بقطيعتهم واعيش كما اريد بعيداً عنهم ..

لم تكن زوجتي في البيت عندما وصلنا . ولكنني ادخلته ، وبالغت في اكرامه . ثم اجلسته في غرفة الضيوف وتركته وحده مدة كي ينصرف بجميع نفسه الى تأمل أثاث الغرفة الجديد الذي اشتريته منذ بضعة اسابيع . وعندما دخلت عليه بالقهوة بعد قليل لمحت معالم الدهشة في عينيه القلقتين فقلت له ضاحكا :

ـ هل أعجبك اثاث الغرفة ؟ انه جديد !.

فاجابني وهو يتناول مني فنجانه : ـ عظيم .. ممتاز ..

فجلست قبالته وبدأت اتفرس فيه كانه مخلوق غريب ، فشعرت انه ارتبك لنظراتي الفاحصة ، ولمحت بضع قطرات من القهوة تسيل على جدار فنجانه ، فابتسمت له وقد طرأت على خاطري



* فازت هذه القصة بجائزة الدكتور « منير العجلاني » لاحسن قصة قصيرة ، وأذيعت من محطة اذاعة دمشق

فكرة خبيثة .

كنت أكبره بخمسة اعوام . الا انني كنت اعرف انه كان محبوب الجميع دائماً ، وانه اصبح بعد ان تزوج اخي الكبير الجاهل،وانفصلت انا عنهم ، شاب الاسرة الغنية الاوحد، ومحط آمال الجميع . وتخيلته قد وقع هو الآخر في مثل تجربتي، فخرج على أهله ، وتحدى ارادتهم ، وسقط في الهاوية التي يتخيلونها هم، والتي سقطت فيها انا كما يزعمون . تخيلته كذلك ، ثم تصورت كيف يكون وقع الخبر على ابي وامي ، بل على الجميع وهل يتبرؤون منه كما تبرؤوا مني انا . انه سيكون اروع انتقام لو استطعت ان اجره الى عالمي الذي خوفوه منه ، وأحمله على ان يتنكب تلك الطريق التقليدية التي علموه سلوكها في البيت كما علموني إياه فيما مضى ثم رموني في هذه المدينة الكبيرة .

ولم البث ان قلت له في لهجة ساخرة ناعمة : ـ كيف رضاهم عني هناك ؟.

فقال : ـ ان امك لا تفتأ تبكي كلما مر ذكرك امامها .

فسألته مرة اخرى وانا اغالب دمعة في عيني : ـ وابي ؟.

ففرك يديه بعصبية ثم قال في صراحة : ـ لولا انك تزوجت واحدة من غير دينك يا محمود لما غضب عليك احد .. انت تعرف والدك من هذه الناحية ..

فقلت في عنف : ـ اجل إنني اعرف والدي من هذه الناحية !. ولكنك لا تعرف يا توفيق اية جريمة ارتكبوها نحوي عندما قذفوني في هذه المدينة وقالوا لي : كن فاضلا . وكان كل شيء يجرني الى غير ما يريدون . لقد عشت طوال حياتي في البلد عندنا أسير فكرة واحدة مهيمنة : لا تنظر الى امرأة غريبة . لا تتطلع الى الحريم . ابتعد عن النساء . فابتعدت عنهن مرغماً وانا لا افكر في شيء تفكيري بهن .. ماذا كنت تريد ان اصنع ؟! لقد كنت مجبراً على ان اتزوج مسيحية..كنت نزيلا في بيت اهلها . واحبتني واحببتها .. او خيل الينا ذلك . لا اقول لك اننا لا نزال عشاقاً كما مضى . ولكن التفاهم يسود حياتنا . اولا يكفي هذا لاسعادنا ؟ . الا يكفي على الاقل كي ينقذني من حياة القلق التي كنت اعانيها قبل ان اتزوجها عندما كانت تتجاذبني خيالات الف امرأة وامرأة ! .

ووقفت في اندفاعي عند هذا الحد ، فاخلدت الى الصمت ، ثم انتبهت الى ان قهوتي اصبحت باردة ، فرشفت الفنجان كله دفعة واحدة ، ثم تطلعت الى توفيق وانا ابتسم له قائلا :

ـ سوف تحضر عما قليل وتتعرف عليها ..

فابتسم في ارتباك وقد تخضبت وجنتاه بالاحمرار .. ولم تمض دقائق حتى سمعنا الباب الخارجي يفتح،فعرفت انها قد وصلت

كان مشهداً طريفاً بالنسبة لي ، جديراً بان يتمتع به الانسان كل التمتع عندما أرى اثنين ، كل واحد منها قريب الي ، وكل منهما من عالم جد مختلف عن عالم الآخر ..

ـ اخي الصغير توفيق .. زوجتي ..

ووقف المسكين حائراً لا يعرف كيف يتصرف ، سوى من غمغمة غير مفهومة ، لولا ان امرأتي مدت يدها اليه في تحبب ، فمد اليها يداً مترددة ، وتصافحا .

سهرنا طوال تلك الليلة ـ انا وزوجتي ـ نتبادل الحديث عن اخي وعن اهلي . وشعرت بغبطة خفية انني قدمت لها واحداً من اقربائي وانها اعجبت به . وفاجأت نفسي بلا وعي احدثها عن انتسابه للكلية ، وعن نشاطه وذكائه ، حتى لاحظت انها كانت صامتة تصغي الي وفي عينيها نظرة غريبة ، فانتبهت لنفسي وسكت .

تكررت زيارات اخي لنا في الايام التي تلت . وشعرت انه بدأ يألف زوجتي بعد ان كان يخشاها . وتحمس للسعي في سبيل رد الحياة الى مجاريها بيني وبين والدي واهلي ولكنني كنت اعرف انها حماسة طفل . وان والدي ليس من الناس الذين يرجعون في آرائهم . وكنت مصمماً ان انتقم منهم يوماً ما ! وها هوذا ابنهم الغالي المدلل يقع بين يدي فريسة سهلة ، فهل افلت الفرصة من يدي ؟!.

كان من الصعب ان اغريه باي شيء ولم يتعود عليه. ولكنني كنت أؤمن بالتآلف التدريجي . فصرت في كل مرة استدرجه للسهر معي في ملاهي البلدة ، ثم اقنعته بضرورة تعلم الرقص ، وصرت اعرفه بنساء من مختلف الانماط والمراتب . وكان المسكين يقاوم في حياء ثم يستسلم في خجل لاخيه الكبير،فاحس لذة خبيثة كلما انحدر معي الى ما اردته له .

ومرت بضعة اسابيع لم يزرني خلالها توفيق الا لماماً ، وفي مساء يوم بارد جاء عندي وفي عينيه بريق غريب، وعلى فمه طلائع حديث طويل ، فادخلته الى غرفتي ، وأوصيت زوجتي ان تصنع لنا كوبين من الشاي الساخن الا انه رفض في اصرار ، فسايرته ودخلنا .

كنت فهمته اكثر من قبل بكثير ، وعرفت أنه من هؤلاء الذين لا يعرفون الكراهية ، ولا يمكن ان تغريهم باكل العظمة

من غير آه

☆

وبغير آهْ
ساوبن الغد من جديد واعيش أجهل ما أريدْ
يمضي نهار
يتلو نهار
لا شيء غير الانتظار
وتمر مركبة السنين تطوي الجبين
ويمرّ عام
يتلوه عام
لا شي، جد على القديم غير التامل في الصميم
لا شي، جد على انتظاري
غير ادكاري
وتأملي انا باحتضاري

بغداد — صفاء الحيدري

الا اذا قدمت له في طبق من ذهب .

قلت له في لهجة عتاب: ـ لم تعد تزورنا كسابق عهدك يا توفيق.

فاطرق بعينيه وقال في تردد . ـ لقد كتمت عنك امراً حدث لي منذ اكثر من شهر يا محمود .. وهو الذي حبسني عنكم طوال تلك المدة . ولقد رأيت اخيراً أنه يجب ان احدثك فيه..

فقلت له ضاحكاً : ـ واخيراً قررت .. وهل بيننا اسرار يا عزيزي ؟.

فرفع الي عينيه ثم قال بلا مقدمات : ـ انت لا تعرف اني غيرت غرفتي التي كنت اقطنها اول السنة وانتقلت الى غرفة اخرى منذ اكثر من ثلاثة شهور . وتصادف ان ثلاثة من هؤلاء النسوة اللواتي يعملن في المراقص كن يشغلن ثلاث غرف في البيت وجئت انا وطالب آخر من صفي فشغلنا الغرفتين الباقيتين . كان يجب ان اغير البيت منذ امد طويل، الا انني شعرت بالراحة فيه ، واحسست ان شيئاً غريباً يربطني اليه ويمنعني ان افاتحك بالموضوع . وكان من الطبيعي ان اتعرف للنسوة الثلاثة وان ترتفع الكلفة بيننا ، وكان زميلي يشاركني في ذلك الا انني كنت الاحظ انني مرغوب اكثر منه .

لم يحدث بيننا شيء يا محمود . اقسم لك . ولكن في احد الايام ، وفي الساعة العاشرة صباحاً ، ومنذ شهر تقريباً كنت في غرفتي اذاكر عندما سمعت صوت مشادة عنيفة ناشبة في الصالون ففتحت الباب ورأيت سعاد ـ إحداهن ـ تتبادل كلاماً قاسياً مع رجل غريب، ثم رايتها تتركه وتتجه الى غرفتها فيمسك بذراعها ويجرها اليه بعنف ، فشتمته وصرخت في وجهه .

لم يكن في البيت غيرنا ، نحن الثلاثة ، وكان لا بد ان اتدخل فاقتربت من الرجل ، وكان ضئيل الجسم ، وأمرته ان يخرج من البيت ، فنفخ في وجهي ساخراً ثم قال في قحة: اهذا هو عشيقك الجديد اذن؟. فجن جنوني، وجذبته من ثيابه حتى الباب الخارجي ثم دفعته بعنف الى الخارج فسقط على ارض الشارع واغلقت الباب على الاثر ثم عدت الى الصالون . كانت سعاد هناك واقفة امام المرآة تصلح زينتها فشكرتني بلطف ثم انسحبت الى غرفتها ، وعدت انا الى غرفتي . منذ ذلك اليوم يا محمود ، بدأ يتسرب بيننا شيء غريب لم افهمه . وصارت كلما تلاقينا تغض من بصرها في حياء ، ويجف فمي ، ونتبادل كلمات تافهة ثم نفترق . وفجأة رأيت نفسي صديقها الاول الذي تبثه اسرار نفسها ، وتحدثه عن حياتها ، وتشكو اليه احزانها . إنها امراة بائسة يا محمود . امرأة نبيلة رغم مظاهر المجون والاستهتار التي تتكلفها . انها ضحية من ضحايا القدر يا محمود .. إنها ..

فقاطعته قائلا : ـ هل هي جميلة ؟!..

فاطرق الى الارض وقال :

ـ انها ليست قبيحة . ولكن اقسم لك انه ليس جمالها هو الذي يربطني اليها . ان رفيقتها اجمل منها ومع ذلك ..

وامسك عن الكلام ، فقلت له: ـ وهل هذا هو كل شيء، هل حدث شيء آخر ؟ .

فقال : ـ ابداً . وانما صرنا الان نكاد لا نفترق . واحس انني انحدر الى مصير مجهول ، مخيف ، لا استطيع الانفكاك عنه . هذا شيء يحدث بالرغم عنا يا محمود ، اليس كذلك ؟. قل لي ماذا افعل ؟ . انت اخي .. واكبر مني .. ولا يهمني ما يقولونه فيك . قل لي ماذا اصنع . هل اتركها يا محمود وهل من خير فيما لو بقيت معها . أجبني . لماذا لا تتكلم ؟.

كنت صامتاً ، تتملكني انفعالات غريبة فاطرقت ملياً ثم

قلت له : ـ سوف اراها قبل كل شيء.. الا تؤمن معي بضرورة ذلك اولا ؟. ففرك يديه وقال في ارتباك .

ـ كما تريد . سوف آخذك للبيت متى تشاء ..

وودعته كما جاء في مساء ذلك اليوم البارد ورجعت الى غرفتي وانا لا ازال نهب انفعالاتي الغريبة ارتب اشياء ما ذهني . لقد اثمر إذاً تدريبي وتعليمي . ولكن لا .. إنه سلوك معقول .. طبيعي ..وكان من الممكن ان يقع فيه لو لم اره ويرني .واخذني الى غرفته في اليوم الثاني وعرفني بها . وجلست انا هناك طويلا ثم تركتها ورجعت وحدي . إنها فتاة جميلة ما في ذلك ريب ويخيل لي انها تحبه حقاً . انها لم تطلب منه قرشاً واحداً منذ ان تعارفا . هل هذا امر يصدق يا إلهي . هذا الشيء الذي كنت انتظره واتمناه قد حدث بكل سهولة ويسر . وهل كان يسعني الا ان اشجع هذه العلاقة . وصرت كل يوم ازورها . واذهب معها في نزهاتها احياناً .

وكان يخيل لي في بعض الاحيان انني اقوم بعمل نبيل وان هذا الشيء الذي اردته له امر لا بد منه كي يهنأ في حياته . وكنت اثق ان هذه القصة لو تسربت الى ابي لنزل عليه الخبر كالصاعقة ، وان امي قد تقضي عليها المفاجأة . هذا ابنهم الملهم الباقي ، قد تبع اخاه الكبير الضال وتزوج واحدة كافرة ومن بنات الليل . وكنت اتصور احياناً انه يجب ان اقصم هذه العلاقة وان اعود به الى بيتنا طاهراً كما جاء منه . ولكنني اتساءل : هل نقصت طهارته عندما احب تلك الفتاة وبادلته هي عاطفته باقوى واعمق منها !.

لم اكن افكر فيما ستنتهي اليه هذه العلاقة، وما كنت احسب انه سيتزوجها . ولا احسب انها كانت تطمع في ان يصنع ذلك . لقد كانت مكتفية منه ان يقاسمها حياتها وهو هنا ، وان تحس معه ـ كما كانت تقول لي ـ انها ترجع كما كانت في السنوات الخوالي فتاة نقية ، صغيرة ، لم يلوثها شيء بعد . وكنت ارى عيني توفيق احياناً تغيمان بسحابة من القلق والسهم فاعرف انه يعاني تجربة قاسية ، وحيرة صعبة ، ثم اراه يستسلم لواقعه كأنه لم يكن يريد ان يفكر في ابعد من يومه .

كان لم يبعد على انتهاء السنة الدراسية اكثر من ثلاثة شهور وكنت اعرف ان توفيق لم يفتح كتاباً ، فرحت اشجعه على ان يتخذ حياله موقفاً معيناً، مهوناً عليه الصدمة بالنسبة لاهله. وكان يلذ لي احياناً ان اراه يتعذب في تردده وحيرته ، واتخيله مثلي قد انقطع عن الدراسة، ولجأ الى العمل الحر، او الى اية وظيفة ثم يسمع والدنا الطاغية بالخبر فينهار من عليائه الى الحضيض . اليسوا هم الذين علموني معنى الحقد ؟ .

ولكن حدث في ليلة من ليالي الربيع ، اننا كنا راجعين نحن الثلاثة من سهرتنا ، وشعرت فجأة بتوفيق يشد على ذراعي وهو يشير لي نحو رجل ضئيل الجسم كان يقترب منا تحت اضواء المصابيح :

ـ انه الرجل الضئيل الذي رميته الى الشارع، والذي حدثتك عنه ! . وما كاد الرجل يصل الينا حتى عرفت انه ثمل . وما ان مد يده الى سعاد حتى صفعه توفيق على وجهه بعنف ودفعه بعيداً الا انني لمحت الرجل فجأة يسحب سكيناً ماضية ويكاد يهوي بها عليه ، فاندفعت انا وهي نحوها وقبضت على يده، ولكنه استطاع ان يجرحني في ذراعي، وان يطعن سعاد في كتفها قبل ان اصرعه واخلصه السكين .

ولمحت في الضوء البعيد اناساً يتحركون نحونا فصرخت بتوفيق قائلا : ـ اسمع يا توفيق .. يجب ان تهرب ..

فتطلع الي بذهول ثم قال: ـ وكيف اتركها وهي على هذه الحال! فاجبته بعنف : ـ لا تكن سخيفاً يا توفيق . هذه العلاقة كان لا بد ان تنفصم يوماً ما. ولكن فكر فيما لو جرونا معاً الى المخفر. ان الخبر لا بد ان يصل الى البلد ويعرف ابوك اية حياة كنت تحياها هنا . لا تجادلني يا توفيق ارجوك .هذه فرصتك الاخيرة كي تنجو . سافر الى البلد منذ الغد ولا ترجع الا عند الفحص. اجل . لا تعد ابداً الا في ايام الفحص ..

وسمعتها تهتف به وهي بين يدي: ـ اسمع منه يا توفيق، ارجوك.

ولكنه قال في تردد : ـ وانت وهي .. ماذا سيحدث لكما، كيف اترككما هكذا !.

فقلت له في ضيق : ـ لا يهمك ماذا سيحدث لي او لها . انني ساعتني بها وساعرف كيف اتصرف . اما انت فيجب ان ترحل . فكر في الفضيحة . فكر في امك المسكينة فيما لو سمعت بالخبر .. اذهب يا توفيق ولا تعد الى هنا ابداً ..

وابتعد اخي في صمت . وقبل ان يختفي في الظلام وددت لو ناديته كي يعود فاضمه الى صدري قليلا قبل ان يذهب، واجهش على كتفه بالبكاء . ولكنني تمالكت ، ومسحت الدموع الحبيسة في عيني ، ثم استدرت في راحة وهدوء، استقبل القادمين .

دمشق — **شوقي بغدادي**

ذكريات الطفولة

✩

مهداة الى مؤلف قصة

« ريح الجنوب »

اليك يا زميلي عبد الملك نوري

✩

بالامس كنا ـ آه من كنا ، ومن امس يكون ـ
نعدو وراء ظلالنا ـ ..كنا،ومن امس يكون ـ
لا نرهب الصمت الذي تضفيه اشباح الغروب
فوق الحدائق والدروب ،
لا نرهب السور الذي من خلفه يأتي الضياء
ولربما مات الضياء ولم يعد ونقول :« جاء !»
كنا نقول كما نشاء
حتى النجوم !
كنا نقول بانها ـ كانت ـ عيون
للارض تنظر في فتون
حتى النجوم !
كانت عيون.
لا نعرف « الشيء الصغير » ولا نصدق ما يقال
ولا نزال
لا نعرف الشيء الصغير ولا نصدق ما يقال

ولربما كنا نحدق في الفراغ ولا ننام
وفي الظلام
ـ مأوى الافاعي والعفاريت الضخام ـ
كانت مدائننا الجديدة في خواطرنا تقام
كانت مدائننا الجديدة في الظلام
كمنازل الاموات* اشبه او قرى
النمل ـ ... الجديدة في الظلام ـ
كانت مدائننا تقام
وفي الظلام
كنا نحدق في الفراغ ، ولا ننام
الا على اصوات عالمنا المقوض والعبيد
يتسكعون ، ومن جديد
يستقبلون ـ هناك ـ طاغية جديد .
وخيولنا الخشبية العرجاء ، كنا في الجدار
بالفحم نرسمها ، ونرسم حولها حقلا ودار
حقلا ودار !
ونطارد القطط الهزيلة في الازقة بالحجار
والى « الحبيبة » كان يدفعنا ، ويدفعنا الحنين
في بيتها نقضي اماسينا الطويلة حالمين
كنا نحقق نعالها الفضي نصغي ساهمين ...
بعد المساء ، وبعد حين
وتثور احقاد السنين
فنعود نبحث في بقايا الذكريات عن الحياة
الامس مات !
الامس مات !
لم يبق حول « مدينة الاطفال » الا ما نشاء
الا السماء
جوفاء ، فارغة ، تحجر في مآقيها الدخان
الا بقايا السور والشحاذ يستجدي،واقدام الزمان
الا العجائز في الدروب الموحشات
يسألن عنا الغاديات ، الرائحات
ولربما مرت بهن .. بهن هذي الذكريات
«السور»والشحاذو«الطفل الذي بالامس مات»

بغداد **عبد الوهاب البياتي**

* منازل الأموات : السجون .

الزواج ازمة الجيل

بقلم حسين مروة

ويح هذا الجيل ! بل ويح ناشئة هذا الجيل وطليعة شبابه !.. كم ذا يعاني في حياته من ازمات، وكم ذا تمتحنه الحياة بالشداد الشداد من الامور ، وبالصعاب الصعاب من المحن !.

وما ندري ، احتم على كل جيل يطلع الى دنياه ، ان تفرض الدنيا عليه هذه الضريبة الفادحة من الازمات والمحن ، ام هو جيلنا الحاضر وحده قد اختص من دنياه بما لم يمتحن به جيل قط ، من قبله ؟.

نحسب ان في الامر شيئاً من هذا وذاك ، فمن الحق ان للدنيا على كل جيل ضريبة من هذه الضريبة حين يواجه الدنيا بنفس جديدة ، وفكر جديد ، ومزاج جديد ، وحين تواجهه الدنيا نفسها بعيش جديد ، وشوط من التطور جديد ، ولكن من الحق كذلك ، ان هذا الجيل الحاضر قد طلع الى دنياه بوجه ما عرفت له الحياة مثيلا من قبل ، استقبلته الحياة بوجه ما عرفته الاجيال مثيلا في ماضيات الايام قط .

لقد جاء دنياه هذا الجيل ، وفي اعصابه اهتزازات من فجائع الحرب العالمية بعد الحرب وفي احساسه يقظات وانتفاضات من اثر الاجراس تدق بالبشائر والنذر معاً، من هنا وهناك، دون انقطاع ، وفي وجدانه نداءات وهتافات من اثر المظالم ترتكبها الفئات القليلة عدواناً على حق الفئات الكثيرة ، وفي عقله وثبات والتماعات من أثر النور الغامر الدافق يرسله العلم ، وتفجره الآلة ، وتدفعه القوة العظيمة : قوة هذا التطور الخالق الآسر الغلاب .

ما اكثر ما يعاني هذا الجيل ، بل ناشئة هذا الجيل وطليعة شبابه ، من ازمات شداد ومحن صعاب !.

وانا لست ازعم ان مشكلة الزواج هي اصل جميع هذه المحن والازمات التي يعانيها جيلنا الحاضر ، فلست من الغفلة حيث اضع مسألة الزواج هذه في رأس مشاكل الجيل وازماته ، ولست من الغفلة كذلك حيث اجهل او اتجاهل ان هناك اصلا اصيلا ، في نظامنا الحاضر ترجع اليه كل مشكلة ، وكل ازمة ، وكل محنة قائمة . ذلك هو امر توزيع الثروة الوطنية في كل وطن من هذه الاوطان العربية المتجاورة المتشابهة .

فان من الواضح في واقع الحياة العربية كلها ، ان في ميزان العدل الاجتماعي شيئاً كثيراً من الخلل ، بسبب هذا الاختلال الراهن في طريقة توزيع الثروة العامة ، هذا الاختلال القادح ، الناشىء عن طبيعة التسيب الاقتصادي في الانظمة المتبعة في بلادنا العربية .

وليس من شك في ان لهذا الخلل الاقتصادي أثراً في جميع الازمات التي يعانيها الجيل ، وليس من شك ايضاً في ان مشكلة الزواج نفسها من آثار هذا الخلل في نظامنا الاقتصادي، ولكن – مع ذلك – يستطيع الباحث ان يلاحظ مدى ما تفعله مشكلة الزواج الان ، في خلق كثير من الازمات النفسية والخلقية والاجتماعية التي تقف في طريق الجيل الحاضر كله ، ولا سيما ناشئة الجيل وطليعة شبابه ، حتى لنرى من آثار هذه المشكلة ان كثيراً من مواهب الخلق والابداع وقابليات البناء والانشاء تذهب في شبابنا هدراً دون تنظيم، لان هذه المواهب والقابليات تحتاج الى استقرار والطمئنان لكي يتسنى لها التنظيم ، ثم يتسنى للمجتمع ان ينتفع بها ويستثمر كنوزها الخيرة .

وأزمة الاستقرار والاطمئنان هذه ، هي بالذات ما قصدت ان اعالجه في هذا الفصل ، وهي بالذات ما اردت ان اسميها في العنوان « ازمة الجيل » .

ان في شباب هذا الجيل لحيرة لا شك فيها ، وان هذه الحيرة لتملك على نفوسهم وعقولهم كل سبيل من سبل الاستقرار والطمأنينة واذا رجعنا الى مصادر هذه الحيرة من نفوسهم وعقولهم ، فسنرى ، – في اغلب الظن – ان لأزمة الزواج مكاناً مرموقاً بين هذه المصادر .

انا اعرف عدداً من شبابنا المتعلم يعيش حياته اليومية اشبه بالمتشردين ، واعرف من امر هؤلاء الشباب ان في نفوسهم وعقولهم ينابيع غزيرة من الخير، وكنوزاً جمة من مواهب الخلق البناء والانشاء ، ولكن معيشة التشرد ، وفقدان الطمأنينة والاستقرار في حياتهم اليومية ، تسد على تلك الينابيع الخيرة ، سبيل الفيض والتدفق ، وتمنع عن هاتيك الكنوز الثمينة وسائل التنظيم والانتاج والاستثمار .

وليس غلواً ان نقول إن البيت الزوجي الصالح الموافق ، لهو البيئة الانسانية الاولى التي تنمو وتخصب في تربتها بذور الطمأنينة والاستقرار للشباب الموهوب ، وهو البيئة الانسانية

الاولى التي يندر كل الندرة ان تجد الحيرة والقلق في تربتها عوامل الحياة والنمو .

وما ذاك الا لان البيت الزوجي الصالح الموافق، ينبوع سخي من ينابيع الحب الانساني الواقعي الخالص، يجد فيه الرجل الزوج تعويضاً محبباً عما يفوته في الحياة العامة من اسباب الغبطة والرضا والبهجة ، واسباب العناية والرعاية والايثار ، واسباب الاناقة والدقة والتنظيم ، ولعل اعظم ما يجده الرجل في البيت الزوجي الصالح ، هو ذلك الشعور القوي بالثقة والرجولة والكرامة ، ومن الرجال من لا يجد هذا الشعور واضحاً في نفسه ، كما يجده في بيته الزوجي . في هذه المملكة الصغيرة المتواضعة التي يحمل الرجل من اعبائها وتبعاتها ما يكشف في ذاته الانسانية عن قوى عظيمة لعلها كانت تظل مدفونة مخبوءة لو لم يدخل الرجل حمى هذه المملكة برجولته وكرامته، ولو لم يحمل ما ينبغي له ان يحمل من اعباء هذه المملكة وتبعاتها الثقال الخفاف معاً .

ومتى تهيأ للرجل ، ولا سيما الشاب المتعلم الموهوب، ان يجد ذلك كله في بيته الزوجي ، في مملكته الصغيرة المتواضعة هذه ، استطاع ان يوفر لنفسه مصدراً غنياً سخياً من مصادر الطمأنينة والاستقرار ، وان يهيء لمواهبه « طاقة » عظيمة للحركة والحيوية والاشعاع .

وانا اعرف في الشباب المتعلم الموهوب، من يطمح بلجاجة ان ينشيء لرجولته هذه البيئة الانسانية الطيبة المنتجة ، ويجد في اعماقه الحنين الجامح لان يبني لشبابه ومواهبه مثل هذه المملكة الجميلة ، العامرة بمصادر الطمأنينة والاستقرار وطاقات الحركة والحيوية والاشعاع، ولكن اموراً كثيرة تعترض سبيله وتحول بينه وبين مطمحه الكريم وامنيته الحبيبة ، فيظل سادراً في قلقه وحيرته وتشرده اذ يحسب انه غير قادر ان يتغلب على هذه الامور الصعاب !

ولو انحصرت موانع الزواج هذه في المسألة الاقتصادية، لكان لهؤلاء الشباب بعض العذر في عزوفهم عن تحقيق مطمحهم الكريم في الزواج ، ولكن من هذه الموانع ما يكون تقليداً من التقاليد الاجتماعية الفاسدة التي لا يزال بعض البيئات عندنا يلتزم الحفاظ عليها في شؤون الزواج، كما هو الشأن في هذه المظاهر التي يلتزمونها احتفالا بالعقد او بالزفاف وما يقتضيه هذا الاحتفال من بذخ واسراف لا معنى له سوى المجاراة العمياء لتقليد احمق وعادة جاهلية خرقاء ، وكما نرى في عناية الاهل والاقارب والمعارف والاصدقاء، بمقدار المهر، وجهاز العرس، واثاث البيت الزوجي الجديد

هذه التقاليد السخيفة ، هي اكبر الموانع في تحقيق اماني الشباب ، واعظم مصادر الازمة التي يعانيها شباب هذا الجيل ، وفي رأيي ان الذنب في هذا ليس ذنب النظام الاقتصادي وحده، وان كان له القسط الاكبر في عوامل الازمة ، وانما هو ذنب هؤلاء الشباب الذين يخضعون لتلك التقاليد الرجعية وهم يعلمون فسادها وسخفها علم اليقين ، ويشعرون بأثرها في حرمانهم العيش الزوجي المنشود .

فمهما تكن الضائقة الاقتصادية خانقة ، ومهما يكن توزيع الثروة سيئاً فاسداً ، فان ثورة الشباب على تقاليد الزواج هذه ، كفيلة ان تجعل امر الزواج سهلا ميسوراً دون مشقة وعناء .

وعجيب ان ينسى الشباب من عيش العزوبة مشقته وعناءه وتشرده وحيرته وقلقه ، وما يقتضيه من بذل كثير ونفقات غير محدودة ثم يروح يعدد لك مقتضيات الزواج وتبعاته واعباءه ، ويزيد في هذه المقتضيات والتبعات والاعباء ، ويضيف اليها من هنا وهناك حتى تتعاظم في عينيه وتكبر اضعافاً مضاعفة عن واقعها الضئيل القليل .

وان في ذهني الان لامثالا صالحة للشباب الذين سحقوا تلك التقاليد، وانشأوا مملكتهم الزوجية انشاء من ايسر الطرق واهونها، وبابسط المظاهر والمراسم دون ان تكون لديهم العدة المالية التي يتصورها اولئك الجبناء الحائرون الخاضعون لاسوأ التقاليد .

يا شباب الجيل !

ان في اعصابكم واحساسكم ووجدانكم ومداركم، من حياة هذا العصر ، ما يرهقكم ، وما يخلق فيكم الازمات الشداد من كل نوع ، فدونكم هذا الملجأ الامين تلقون اليه باتعاب عصركم وازمات حياتكم ، وتجدون لديه مصادر الطمأنينة والاستقرار، و« طاقات » الحركة والحيوية والاشعاع ، ولا تدعوا هذه التقاليد الرعناء تتحكم برجولاتكم وتعطل مواهبكم .

الى الزواج يا شباب الجيل .. ادخلوا حمى هذه المملكة الصغيرة الجميلة غير هيابين ولا وجلين ، واخلعوا عنكم اوهاماً تخيل لكم ان تبعات البيت الزوجي جسام جسام ، اسحقوا تقاليد الاحتفالات والمهرجانات والمظاهر العارضة الفارغة ، اقنعوا فتياتكم المختارات ان المهور وجهاز العرس ، ليست الا « ورقة مرور » مزورة مزيفة الى نعيم المملكة الزوجية

مضى اكثر من ربع قرن، وانا استعرض وجوهاً وارافق اشخاصاً تجمعني بهم حدود الزمالة في مهنة التعليم، فاكسبتني هذه الحقبة، الزاخرة بالتجانس والتناقض وما بينهما، اختباراً أتاح لي ان اعلن رأياً في شخصية المعلم، هذه الشخصية التي عرفتها، على مقاعد التحصيل الابتدائي « بعبعاً » ومقاعد الثانوي كابوساً وتقمصتها اول عهدي بالتدريس جاهداً مزهواً بلقبها... وبعد سنوات، وقفت منها مؤمناً بشرف رسالتها مشفقاً على سوء حالها، الى ان كان عهد الاستقلال فتحولت بايماني وإشفاقي الى مرتقب زميل الغد القريب، في مستوى أحفظ لقدر المهنة وآمن لسلامة الغاية التي من اجلها كان المعلم.



شخصية المعلم

بقلم نسيم نصر
مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

والمعلم اللبناني المعاصر، المتصل بالارث بمعلمي الحرف الاول، أجدر أبناء المعرفة وأربابها باستقامة اساليب إعطائها وتنميتها ورفعها عموداً من نور، يشع في العقول، الى جانب قرص الشمس المضيء للعيون.

ولما كنت قد عقدت النية على ان اعتمد اختباري في تعريف شخصية المعلم، الخليق بهذا اللقب الرفيع في جوهره، رغم تبذل اعراضه، أجزت لنفسي ان اتفلت، بعض التفلت، من قيود التعاريف التي سبقت اليها، معتذراً الى ارباب الاختصاص عن تصرفي في تسمية بعض عناصر هذه الشخصية، التي تناولتها موضوعاً بعد ان درست نقائص المئات من منتحليها.

فاستناداً الى ما قدمت ارى ان تتألف شخصية المعلم الحقيقي من العناصر التالية: الدعوة الذاتية - الامانة المجردة - القدوة العملية - الاختصاص المشوق.

الدعوة الذاتية: هي الميل الملح الذي لا تدركه رحمة بصاحبه، إن هو حاول ان يقاومه ليتحول الى سواه، او هو ذلك الاستجماع في قوى الفرد للانصراف الى رسالة يقوم بها مكرساً لها ما استطاع من وقود المعرفة، فتصبح الدعوة الذاتية جناحاً للهمة ومركباً للتضحية ومولداً للالفة بين الانسان المعلم ومهمته التي ندب نفسه لها.

ولا شك، والحالة هذه، في انها العنصر الام، تلتف حوله العناصر الاخرى لتكفل للمعلم إيفاء مهنته حقها على افضل وجه. وليس من المبالغة في شيء، قولنا ان كل عمل يمارسه الانسان لاجئاً اليه من البطالة او منساقاً اليه بالحاجة الى أجره او مجبراً لدافع ما، لا ينتهي به الى الاجادة، وان بدت عليه بعض ملامح التوفيق فتلك سطحية لا يركن اليها ولا يقاس عليها.

ولئن اجيز، في بعض الظروف، ان تترك الاعمال والمهن والحرف، التي تتناول غير الاحياء العاقلين، اي التلاميذ، للاجئ او المضطر، فلا يجوز ان يعهد بمهنة المعلم الى غير المدعوين ذاتياً الى رسالة المعلم، في حال من الاحوال، لان الاخفاق في تعمير الصدور اشد خطراً منه في عمارة الدور والقصور.

الامانة المجردة: الامانة هي صفة مميزة يفيض بها الشعور بالمسؤولية والحق والواجب ويحوطها الضمير المستيقظ بهالة من الكرامة ويقوم على حراستها العقل المتدبر سيرورة الاعمال، في اقوم مناهجها واشرف التضحيات في سبيلها. واذا ما استكملت الامانة مقوماتها، التي قدمنا، نزعت بصاحبها الى شرف الغاية مجردة عن تزيين الاساليب، مستعلية على العقبات، معرضة عن مغريات المساومة، وطلعت تقيم الحد الفاصل بين كبار النفوس وصغارها، وبين عامر الصدور وخربها. وليس في الناس، على اختلاف ميادين اعمالهم، من هو اكثر حاجة الى الامانة المجردة، عن كل غرض وعرض، من معلم تستودعه فلذة كبدك وعماد بيتك وغد بلادك.

الحبيبة الهانئة الدافئة، وان الاعتماد على هذه الورقة الزائفة، قد تفسد النعيم المنتظر، فاذا لم يقتنعن بذاك فما هن بجديرات ان يتربعن على عروش قلوبكم في ظلال « الشركة » المقدسة الخالدة.

. الى الزواج يا شباب الجيل، الى الثورة بتقاليد تحول بينكم وبين هذا الينبوع الصافي من ينابيع الحب الانساني الخالص.

حسين مروة

الوجود المجنح

مهداة الى الشاعرة المبدعة ، فدوى طوقان

•

وشاعرة توقع في النشيد رؤى نفس مجنحة الوجود
وتنفح،من ثنايا القلب،شعراً روائعه من الوحي الفريد
كأن به،لدى الأرزاء، نسراً تذوب لديه شاسعة الحدود
وفيه،من البلابل، كل شدو حديث الفن مبتكر الخلود

***

قرأتك، ذاهلا عن حس ذاتي كأني في ابتهالات الصلاة
تضج بك الجراح ، على أذاها مدوية باعصار الحياة
فألمس من خلال العصف،عزما يحطم كل أغلال الفتاة
ويبعث،في حياة الجيل، روحا تهز بفيضها عظم الرفات

***

قرأتك دمعة شبت لهيبا يفوح ، من مجامره ، طيوبا
وتسطع،في دجى الأحداث،نجما تعاهد والضيا ألا يغيبا
أتاك الشعر ألحانا عذارى فشق، في انطلاقته ، دروبا
وأرضي،في سماوته،حبيبا فخير الشدو ما يرضي الحبيبا

نسيم نصر

ولعلك تدري معي ان الامانة في غير التعليم تهدف غالباً الا تاخذ مما ليس لك او تتجاوز حقك .. اما الامانة في المدرسة فتوشك ان تنحصر في كرم العطاء وحسنه ، عطاء الفكر في صحة النفس وكرم الخلق ، وهيهات لمنتظر عدالة البدل ان يرتفع بنفسه الى مرتبة الامين .

القدوة العملية : الاقتداء هو التسنن بالغير والعمل بالاسوة . ومن هذا الباب تدخل اساليب التربية الى ميادين اصلاح الحياة البشرية .

ولقد أجمع العلماء والمربون على ان عقل الانسان قائم على غريزة خصت بقابلية الاكتساب المستمر ، الآخذة مجلاها الرئيسي في عمر الاحداث . وهذه القابلية ، التي كلما الطعمت اشتد جوعها ، هي سلم الاستعلاء الآدمي على سائر المخلوقات .

ولما كانت النزعات المكتسبة في الناشيء ، كثيراً ما تطغى على الاصيلة فيه بحكم القدوة ، وجب على المعلم ان يكون في مدرسته وبيته وبيئته ، كتاب الاخلاق الحي ليترسم آخذو المعرفة عنه خطاه المسلكية فيقرنوا تدرجهم العلمي بآخر تربوي لان العلم ان لم يقرن بطيب الصفات فالجهل ايسر منه شرا . وما انفع ان نتقصى في هذا الموجز من الكلام، الغاية التي من اجلها استحدث لوزارة المعارف ، في ما مضى ، تعريفها الجديد « وزارة التربية الوطنية » فندرك ان المعرفة في مفاهيم الوعي الحديث احتلت المرتبة الثانية الى جانب النشء الوطني . فهل يستطيع اذن معلم يعمل بغير ما يعلم ويسير على غير ما يرسم ، ان يكون مربياً كما تدعوه المهنة وكما تسميه الوزارة صاحبة الامر والتوجيه والمسؤولية؟!

ان المعلم الكفء للواجب هو من استقامت فيه اسباب القدوة العملية، التي تكسبه احترام مريديه ومحبتهم وتنقل اليهم بالانطباع والتقليد خلاله المحمودة فيزدوج التحصيل من خلق ومعرفة وتحتل المدرسة المنزلة الاولى في المجتمع اذ تهيء له اعضاءه الطالبين تهيئة صالحة وتعد ابناء البيت المتصدع وبناته ليبنوا بيوت الغد تدعمها الاخلاق وتنيرها المعرفة .

الاختصاص المشوق: الاختصاص عين الفهم وآية العلم ومفتاح الاحاطة . وهو في هذه الزحمة من التطلع الى الجديد ، الذي لا عد لابوابه واسبابه ، ولا حساب ، موضع الثقة في كل الامور وميدان التفرد مهما اشتد الزحام وطغى التنافس .

ولكن الاختصاص في حقل التدريس لا يسمو بضمانة فوائده سموه في غيره من حقول الاعمال ان لم ترافقه ميزة التشويق القائمة على لذة المعلم باختصاصه وسخائه في إعطاء مادته، فالطالب عندئذ يبادل معلمه اللذه فتتفتح مواهبه لتقبل العطاء الباش الكريم وتنشأ عن معاطاة الشوق صلات طيبة تحبب ما بين المدرس والدارس ، من حق وواجب وتطلق شعلة من النور والبهجة في سماء المدرسة .

وهكذا يستحدث الاختصاص المشوق أسلاكاً من الايناس المهذب تجعل من جو التلمذة الضيق جواً رحباً وتخلق روحاً من النشاط ، في محيط يراوده الملل ، فتحلو المدرسة بما تجمع من البراعة في عرض المادة عرضاً تداخله الحياة، مجهزة بالقدرة على الافهام مزينة بالرغبة في العمل .

وخلاصة القول ان المعلم منتدب لادق مهمة من مهمات الحياة واسماها غاية واصعبها وسيلة ، فعليه ان يمضي في مهنته محباً اياها اميناً لها مشرفاً مسلكها ، يحدوه شوق العارف لقيادة الناشئة في خير دروب المستقبل .

نسيم نصر

في المفكرة

بقلم الآنسة سميرة عزام

لم تدر* صاحبتنا بان يومها هو آخر ايام السنة ، فما كانت الايام والشهور عندها بحساب .. وما كانت تعبأ بفواتح الاعوام او خواتمها ، لولا انها القت نظرة على النتيجة المثبتة على الحائط .. لتتأكد من تاريخ اليوم الذي هي فيه قبل ان تتوج به رسالة كلفت بكتابتها ، فأنبئها بانه اليوم الاخير من ديسمبر .. وديسمبر ترتيبه الثاني عشر من شهور السنة كما تقول التقاويم .. اذن فقد انتهى العام .. تماماً كما بدأ ، بنفس الهدوء ، ونفس النسق .. استقبلته كما استقبلت غيره مما سلف من اعوامها وها هي ذي تودعه دون ان تدري أتحمده ام تذمه ! . فما حمل لها في طياته ما يزعج ، كما لم يطالعها بما يبهج .. فاي حق لها في ان تحمد او تذم ؟؟

غداً تمد الى التقويم يدا ، فتنتزعه وتعلق الجديد بدلا منه وغدا يحتم عليها ان ترقم في رسائلها عام اثنين وخمسين بعد الالف والتسعمائة ..وغداً تلقي بمفكرة المكتب الحافلة بالاشارات لتأخذ اخرى جديدة تفتتح بها عاماً مكتبيا من اعوام حياتها التي لم تكن .. الا مكتباً ورسائل ومطبوعات وحسابات .. وحدقت الفتاة الى المفكرة السوداء السميكة، فقفز فكرها الى مفكرة اخرى صغيرة هاجعة مع الاغراض الاخرى في حقيبتها الاثرية، تذكر انها اشترتها فيما اشترت للمكتب من ادوات وقرطاسية .

اذ شاقها جلدتها الحمراء ، فحملتها الى البيت وكان اول شيء فعلته هو انها خطت على اولى صفحاتها كلمتي « عام جديد » ورسمت بعدها صفاً من علامات التساؤل ..

وهذه هي المفكرة لا تزال في مكانها مع الاغراض ، بيضاء من غير سوء اللهم الا من علامات تحن الى الجواب ، فلما عز عليها ماتت فيها اللهفة وان ظلت على انحناءاتها ..

وهكذا خلت المفكرة من اثارة تحلو معها الذكرى .. او عبارة يقف عندها الفكر لحظات .. وبم كانت تطمح حين خطت هذه الاشارات ؟ انها نفسها لا تدري ! فما عاشت يوماً إلا كما تعيش اليوم ، وستعيش الى الابد !!

الى الابد؟ وافزعتها هذه الكلمة، فهي ذات مطاطية لا تحتمل .

« الى الابد » هذه تعني بالنسبة اليها مكتباً عتيقاً ، ومحبرة ملونة ، وطابعة تبدو حروفها وكأنها اسنان طالقة في جمجمة .. ورفوفاً عدة اصطفت فيها نماذج من المسامير والبراغي واصناف البويا التي يتجر بها مخدومها.

الى الابد ؟ ومع هذا الرجل القريب البعيد ؟

والتفتت الى صاحب المحل تتامل وجهه ، هذا الوجه الذي حارت في دراسته فخرجت بلا شيء ، فكأنه قد لبس طابعاً واحداً لا ينزعه الا في مناسبات متباعدة .حين ماتت امه مثلا .. وحين زارها في المستشفى يوم استأصلت « الزائدة » فاقبل وفي يده علبة كبيرة من الحلوى .

كم حاولت ان تنفذ الى ما وراء نظراته الساهمة لتستشف من ماضيه ما تجهل فخانتها فراستها ..

انه غريب فهو لا يثور ولا ينفعل ولا يغضب ولا ولا ولا .. فما عرفته الا هكذا منذ اقبلت على المكتب قبل خمسة اعوام ...

ولكن لا .. انها تلمس فيه لحظات « تفتح » نفسي لا تلبث ان تختفي فتذوب كلمات التبسط على شفتيه .. وتعاوده تلك النظرات الساهمة ..

وقامت صاحبتنا بانفعال تطل من النافذة فتبصر بالناس افواجاً يتأبطون العلب ويحملون اللفائف ويمنون انفسهم بليلة ملونة .

انهم « يحسون » ايامهم اما هي فما في عام يروح وآخر يجيء ، مبعث تطلع او محرك امل .. فيومها الاخير كبقية الايام وليلة راس السنة كتلك الليالي الاخرى الباهتة .. وجه تقنع بالجمود ملقى على مخدة وفية قديمة .. وغرفة تغلفت جدرانها بالصقيع .. وتركت الفتاة موقفها من النافذة وعادت تلقي بنفسها الى الكرسي وتمسك بمفكرتها الصغيرة بعصبية ظاهرة لم تسكن الا بعد ان تحدرت من عينيها دمعتان ترجرجتا على خدها في استحياء حين شعرت بعيني الرجل كأنهما تفترسان في وجهها .. وترمقان المفكرة .. من بعيد ..

حين قامت صاحبتنا في المساء تقفل ادراجها وترتب حاجياتها وتربط عنقها بوشاحها الصوفي اقبلت على الرجل تودعه وترجو له عاماً سعيداً .. تناول يدها مصافحاً وقال وعلى شفتيه ابتسامة فاهمة : ما قولك في ان امر بك الليلة لاحملك الى مكان نساير فيه المعيدين .. ومن يدري فقد نخط شيئاً جديداً في مفكرتينا !!



* اذيعت من محطة الشرق الأدنى .

في نشوة العيد

استجواب مرفوع الى العام الجديد

☆

لجورج صيدح

سان بولو ـ البرازيل

☆

يا من يهنئني بعام طالع هل تقرأ المكتوب في الاعوام ؟
ما انت علاّم الغيوب ولا انا فدع الغيوب لربك العلام
شاركتني في اللهو ليلة نشوتي أغداً شريكي انت في الآلام؟
عيّدت للاحلام يوماً واحداً والحلم عيدي طيلة الايام
راودتهُ غض الشباب وكاهلا بالضاحك الباكي من الانغام
فأصبت في العشرين برقاً خلباً وخطبت في الخمسين ود جهام
إني لأهزأ بالحياة اذا خلت أعراسها من جلوة الاحلام
أرأيت كأسي يا نديم كما أرى جرحاً تبلور حول قلب دامي؟
عالجته بالثلج ثم رفعته لفمي فعاد ملوحاً بضرام
فار الدم المحموم من أشداقه وطغا على اطرافه والهام
فأخذت بالشفتين أمسح خده وألم ازرار الندى المترامي
اخمدت بالقبلات ثورة راحه وكنت أمطرها بدمعي الهامي
يا للقتيلة بالدموع تجشمت حرباً وفاضت روحها بسلام
رقص الحباب كأنه من روحها شبح يطل ويختفي في الجام
وكأن كل فقاعة أمنية ولت كومض البارق البسام
قل يا نديم. اليس شأني شأنها؟ اني رقصت على حداء العام
هل شرعة الآمال فيه تعبدت ام موردي آل من الاوهام؟
أغرقت في الكاس الاخيرة نشوتي ومنى الفؤاد وجذوة الالهام
وشربتها حتى سكرت وما انا صاح كصحوك بعد ليل مدام

***

يا زارع الايمان هبني ذرة علي ارى نبت الرجاء النامي
او كلما ثلمت ارضي بالهدى غرست شكوكي الشوك في أثلامي
الوشل يكفيني فعلني به اني تركت لك العباب الطامي
والله ما استجديت عامي حاجة الا قضاء حوائج لكرام.
للعيش قيمته اذا عاشت به آمال طائفة من الآنام
والعام ـ ما حمل السلام لامتي ـ آليت لا القي عليه سلامي!
سله أيضمد جرحها مستغفراً عما جناه اخوه من آثام ؟
ويحالف «الفئة الصغيرة» رامها من جانب «الفئة الكبيرة» رام؟
أتراه في الدور الجديد مجدداً حظي من البلدان والاقوام؟
أيصون للشعراء ماء وجوههم فيسير خلفي من يسير امامي ؟
أيرد للادب المهيض جناحه فيطير فوق شواهق الارقام؟
أيجنب الاقلام خفض رؤوسها وغضاضة المسعى الى الاقدام؟
أيقي الصحافة شر أقزام الحجى ومرارة الزلفى الى الاقزام؟
أيزحزح الاصنام عن صدر الحمى ومعاشر الداعين للاصنام؟
ايحاسب الحكام عن اخلافهم فرض اتقاء الله في الاحكام؟
أيهيب بالفدم الفخور بماله ان لا يناطح ذروة الاهرام ؟
ايعد في عمري الى يوم به احدو الركاب الى ربوع الشام ؟
يا عام أسعد من تشاء وخص بالنعمى منازل نعمتي وغرامي
ادعو بسقياها ولي كبد على جمر الغضا أحرى بصوب غمام
لكنني راض لنفسي بالظما واذا ارتوى اهلي فلست الظامي!

الرمزية في الادب العربي الحديث

بقلم عيسى الناعوري



من اهم العوامل* التي لعبت دورها في تفتيح براعم النهضة الادبية الحاضرة في العالم العربي ، هذا الصراع بين المذاهب الفكرية والفنية ، الذي بدأت تباشيره في اعقاب الحرب الكونية الاولى ، وظلت تتدرج ببطء حتى اشتد ساعدها منذ بداية الربع الثاني من هذا القرن على وجه التقريب .

ولم تكن هذه المذاهب وليدة الاوضاع التي وجدت في البلاد العربية ، بقدر ما هي نتيجة التماس الفكري الذي ازداد في هذه الفترة بين العرب والشعوب الاوروبية عامة ، والشعبين الفرنسي والانكليزي بوجه خاص . فالمدارس الفنية التي عرفتها هذه الشعوب ، وتكونت منها آدابها ، انتقلت بحكم هذا التمازج الفكري والثقافي الى مستوري البلاد العربية ، فوجدت فيهم استعداداً للتأثر بها ، وللانطباع بطوابعها ، واوجدت عندهم حوافز نشيطة للعمل على غرارها ، واثارة الافكار في الشرق على صراعها وتزاحمها .

وكما كان لبنان في بدء عصر النهضة الحديثة سباقاً الى اقتباس العلوم والآداب ، وتطعيم النهضة بها مما ساعد على خلق العصر الادبي الجديد في دنيا العرب ، كان كذلك سباقاً الى التأثر باغلب هذه المذاهب الفنية الحديثة وتطبيقها ، فكان لكل منها انصار وتلاميذ ، وانتشر تأثيرها عن هؤلاء الانصار وعن هؤلاء التلاميذ في الاقطار العربية على مقاييس متفاوتة .

ومن بين هذه المذاهب الفكرية والفنية التي تأثر فيها شعراء العرب بالغرب ، وكان لبنان سباقاً الى اقتباسها ، المذهب الرمزي؛ وانصاره جماعة من الذين نهلوا من ثقافات الغرب ، وامتلأت نفوسهم من تأثير ادبائه ، وكان للادب الفرنسي المكانة الاولى والحظ الاكبر من هذا التأثير ، لما فيه من غنى في مذاهب الفكر والفن .

والرمزية فن كان قد استحدث في الادب الفرنسي في القرن التاسع عشر ، ثم اشتد تأثيرها في القرن الحاضر ، وكان من اكبر العاملين في حقلها جماعة من كبار الشعراء الفرنسيين، امثال موريا ، ورامبو ، وما لارميه ، وفرلين ، وبول فاليري ، وانتقل اثرها عنهم الى بعض شعراء البلاد الاوروبية وروسيا، كما انتقل فيما بعد الى البلاد العربية ، ووجد له ميداناً واسعاً بين شعراء الشبان الذين يعشقون العبارة الموسيقية الضبابية ، ويهيمون بجرجرة الالفاظ وفرقعة الخيال . ومن اوائل الذين تأثروا بها، وشرعوا بمد خيوطها في الشرق العربي الشاعر اديب مظهر . ويذكر الياس ابو شبكة في كتابه « روابط الفكر والروح » ان هذا الشاعر اللبناني قد بدأ ينظم الشعر الرمزي منذ عام ١٩٢٦ بعد ان وقع في يده مجموعة من قصائد الشاعر الفرنسي البير سامان الرمزية ، فتأثر بها كثيراً ، ونظم على غرارها قصيدة بعنوان « النسيم الاسود » ثم أتبعها بطائفة اخرى مثلها . ثم لم يلبث ان امتد ايضاً اثر بول فاليري الى ادباء آخرين فترك فيهم مثل ذلك الاثر ، وتأثر بهؤلاء غيرهم ، فكان الاديب الرمزي الذي نعرفه اليوم .

والرمزية في الادب هي تلوين ضبابي، قد يشف احياناً عما وراء اللفظة او العبارة من صور او افكار او عواطف ، وقد يغرق احياناً اخرى في حجبها حتى لا يوصل اليها الا بكثير من كد الذهن ، وقد لا يصل اليها الذهن حتى بكثرة الكد ، ويبقى لكل قارىء ان يستشف وحده ما وراءها من معان على الشكل

* اذيع من محطة القدس على مرتين

الذي يستسيغه ، او ينكص عنها مجهداً مكدوداً . وهذه الشفافية او الغموض تتبع الجو النفسي الذي كتبت فيه القصيدة او القطعة المنثورة ، كما تتبع الانفعال الشعري لدى صاحبها .

واغلب ما يكون هـذا الادب الرمزي تعبيراً عن حالات وانفعالات ذاتية، كما يقول الناقد المصري عبد اللطيف السحرتي في كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » وقـل ان يتعرض لمسائل الحياة والمجتمع ، لان معالجة المسائل الواقعية قد تعوق انطلاق اللفظة ، ورفيف الخيال المنعتق في العبارة، ولأن الواقع المحسوس ليس من السهل ان يخضع للتجارب الخيـالية اللاواعية .

والاصل في معنى الرمزية ان تؤدي عبارة اولفظ معنى غير معناها الحقيقي ، يستطيع ان يدركه المرء من القرينة ، غير ان الرمزيين تفننوا كثيراً في تلوين الكلام وتغليفه بالغموض ولعلهم يحسون ان الموضوع الذي يعبرون عنه بكتـاباتهم واضح في نفوسهم كل الوضوح ، فمن الصعب ان يتخيلوا ان مثل هـذا الموضوع لا ينكشف لمن يقرأونهم كما ينكشف لهم .

وسعيد عقل ، زعيم الرمزية العربية في لبنان ، يرد ذلك الابهام في الرموز الى ان الشعر انما ينبع من اللاوعي ، وهو يفسر هذا بانه ارقى درجات الوعي ، ويعتبر ان الشاعر الموفق في شعره هو الذي ينظم في حالة لاواعية ، وان المرء لكي يفهم هذا الشعر اللاواعي يجب ان يعطل الوعي في نفسه ، لان العقل الواعي لا يستطيع ان يصل الى ادراك ما يخلقه اللاوعي في تجاربه الشعرية .

وهو يقول في ذلك في مقدمة قصيدته المطولة « المجدلية » ـ وقد جاءت هذه المقدمة شبه دستور للادب الرمزي ـ . «ارى ان اللاوعي ـ ارقى درجات الوعي ـ هو الصفة الاولى والاخيرة للشعر ، وان الوعي هو الصفة الاولى والاخيرة للنثر » .. ثم يضيف قائلا « اني عند النظم اكون في حالة لاوعي ، تنفي حتى العاطفة ... والعاطفة كلما قويت افسدت الشعر ، ولا اعتقد ان اثراً شعرياً ذا قيمة خلق في حالة اهتياج .. ان عناصر الوعي ولا استثني حتى العاطفة ـ لا تلعب في الشعر اقل دور ... ان الصورة والفكرة والعاطفة هي نثر الحالة الشعرية ، هي التعبير المنحط ، يقرب الحالة الشعرية الى العـاديين من البشر » . ثم يقول : « ان الشعر حالة في اللاوعي فوق الوصف ، لا تشرح جوهرها الموسيقى ، بها يتحد الشاعر ـ او المتذوق ـ اتحـاداً حميماً مع حقائق الكون الازلية » .

وسعيد في هذا يريد ان لا يفهم الناس الشعر فهماً تفصيلياً واضحا ـ لأنه في رأيه شيء فوق الفهم ـ وانما يريد ان يحسّوه بنفوسهم، وان يسكروا بخمرة هذا الاحساس الداخلي الموسيقية .

ومثل سعيد عقل نجـد كذلك الدكتور بشر فارس الذي يقول في احد اعداد مجلة الـكتاب المصرية مـا يلي : « الشاعر انما يعمل في الظلمة ، ظلمة الخلجات ، فهو يبين بقدر ما يخلص النور الى الزوايا . ثم انه لقاط اوهـام تشغل الناس ولا يستوضحونها، فهو يرسم خيالات ملامحها لبصائرهم لا لابصارهم »

وسعيد عقل و بشر فارس متفقان في هذا التعـالي الغامض عن مستوى العاديين من القراء ، ولا غرابة في ذلك فان في ما يكتبه قلماهما من شعر منظوم او منثور اغراقاً بعيـد المدى في الغموض والابهام .

على انه ليس حتما ان يكون الادب الرمزي غموضاً كله، كالذي نجده عند سعيد عقل ، و بشر فارس ، وصلاح الاسير ، والياس خليـل زخريا ، والبير اديب ، ومية الحموي ، وثريا ملحس ، فهناك قطع رمزية فيها وضوح جميل ، ينفذ اليها ذهن القـارئ، بسهولة من بين الالفاظ الضبابية الشفافة الملونة ، كمن يتنزه في حديقة ملأى بالورود وانواع الزهر الجميل . فالرمزية في هذا النوع من الادب ليست « رمزية شاملة » ، وانمـا هي رمزية عبارة او موضوع او صورة . وفرق بعيد بين الرمزية الشاملة التي تكتنف الموضوع والقالب معاً ، والرمزية التي تعتمد على العبارة الضبابية الشفـافة التي ترمز الى موضوع واضح قريب الى الفهم .

نحن لا نعدو الحقيقة اذا ما قلنا ان الرمزية الحديثة قد بدات عندنا بجبران خليل جبران ، الذي قدم لنـا في مؤلفاته عدداً كبيراً من التعابير المستحدثة الغامضة ، [كالذات المجنحة، وآذان السكينة ، وتحممت بعطر ، وتنشفت بنور ، وشربت الفجر خمرا في كؤوس من اثير] وما اليها. ولم يكتف برمزية العبارة وحدها فهناك كتبه التالية ـ المجنون ، آلهة الارض ، السابق ، المواكب، التائه ، ان كل ما فيها رموز عن اشياء غير التي تعنيها الالفـاظ . وكثير من فصول كتبه الاخرى رموز في رموز . وهذا الرمزية الجبرانية لعلها نشأت عن تأثره بالفيلسوف الالماني نيتشه، الذي يشتهر كتابه « هكذا قال زرادشت » برمزيته الشعرية. ولـكن رمزية جبران ليست من النوع الذي يتعطل امامه عمـل الذهن

الا في ما ندر ، ولا سيما كتابه « آلهة الارض » الذي يخيل الينا ان جبران قد كتبه تحت تأثير فكرة غامضة لم يكن هو نفسه يراها بوضوح ، ولذلك لم يحسن التعبير عنها كعادته في مؤلفاته الباقية كلها . واكثر ما تظهر رمزية جبران في رسومه التي قد لا يتفق في تفسيرها اثنان ، لانها كلها تعابير غامضة عن فكر معينة كان يرسمها جبران على الورق بدون ان يحاول شرحها ، او يترك دليلا واضحاً عليها .

وقد ترك جبران أثراً بعيداً في نفوس زملائه في الرابطة القلمية وعلى اقلامهم ، وكذلك على اقلام قرائه في العالم العربي كله ، فدرجت على هذه الاقلام طائفة كبيرة من تعابيره المترقرقة الموسيقية . وقد اتخذت هذه الرمزية عند زملاء جبران والمتأثرين بادبه أنواعاً مختلفة وقد جاءت عند ابو ماضي ونعيمه واضحة جميلة ، كما في قصائد « الطمأنينة » ، والخير والشر ، والعراك » لميخائيل نعيمه ، و « الحجر الصغير » ، والتينة الحمقاء ، والسجينة ، والعليقة ، وكثير غيرها » لابو ماضي . وهذا النوع من الرمزية الخفيفة المألوفة تمكن ان تعالج فيه امور المجتمع ومشاكل الحياة اليومية بابلغ التأثير واعمقه وقعاً في النفس .

وعلى ذكر قصيدة « العليقة » لأبو ماضي ، اذكر ان الناقد المصري عبد اللطيف السحرتي قد حملها رمزاً الى المرأة المنحرفة التي تعترض طريق الشباب ، ونحن نعتقد بانها انما ترمز الى النمام المغتاب الذي يحاول تمزيق اعراض الناس بلسانه فكأنه العليقة التي تمزق ثياب من يقع بين اشواكها .

وقد عرف فوزي المعلوف ايضاً ناحية من هذه الرمزية الواضحة في عدد من قصائده الجميلة ، ولا سيما في مطولته الثانية « شعلة العذاب » ، كالنشيد الذي يخاطب فيه الوردة ، وهو انما يعني بالوردة نفسه ، ويعبر عن شعوره الحزين المتشائم بالحياة وهو بعد في ميعة الشباب الباسم .

ولقد كان من اثر هذه الكتابات المهجرية ، وعلى الاخص كتابات جبران الجديدة في روحها وفي اسلوبها الرمزي الشفاف ، ومن اثر الادب الفرنسي بشكل خاص ، ان عرفت الرمزية بكافة اشكالها طريقها الى ادباء الشرق من الشبان ، وانتشرت على اقلامهم ، وصارت مذهباً جديداً له قيمته وله خطره ، وعاملا من عوامل انعاش النهضة الادبية الحاضرة .

على اننا في الحديث عن الرمزية بمعناها الضيق لا نريد ان ندخل في حسابنا هذا النوع من الرمزية المألوفة ، رمزية الموضوع ، التي عرفناها عند بعض ادباء المهجر ، وعند كثيرين من ادباء الشرق لانها شيء مألوف ، وقد لا يلاحظ الكثيرون انها تدخل في باب الادب الرمزي . وانما الذي يهمنا ان نقف عنده هو الرمزية المكتنفة بالغموض في موضوعها وقالبها او في صورها المعبرة . وهذا ما سنحاول ان نراه فيما سيلي بشيء من التفصيل الممكن ، مع تقديم الامثلة عليه . ولذلك نمضي الان فنقسم الرمزية التي نعنيها الى ثلاثة اقسام هي :

١ ـ الرمزية الشاملة ـ ونعني بها التي تكون غامضة القالب والموضوع معاً ، فلا يكاد يتبين القارىء منها شيئاً الا بكد الذهن او قد لا يتبين شيئاً البتة مما يقصده الشاعر ، او قد يختلف كل قارىء عن الآخر في ما يستشفه من معانيها لأنها قد توحي باكثر

من معنى واحد ، او قد لا توحي بشيء . وهذه هي الرمزية المغرقة وهي السبب الاهم في نفور الكثيرين من الشعر الرمزي، لما تكلفه من جهد في محاولة الوصول الى معانيها .

٢ ـ رمزية العبارة او الصورة ـ وهي التي يكون فيها الموضوع مفهوماً ، ولكن الشاعر يغرب في تزويق عبارته وتلفيعها بالضباب الشعري ، والوقع الموسيقي ، وقد يتعذر على القارىء احياناً ان يستبين وجه الصورة بين العبارة الشعرية والموضوع الذي تعبر عنه .

٣ ـ رمزية الموضوع ـ وهذه كما اسلفنا رمزية مألوفة يدخل فيها امثال كتاب كليلة ودمنة كما يدخل فيها شعر التصوف ، وكما يدخل فيها الكثير من الادب العربي شعراً ونثراً الذي يدور على السنة الحيوانات وغيرها . وكذلك يدخل فيها الكثير جداً من الشعر العصري الذي يعالج امور الحياة والمجتمع بطريقة مواربة . وهذه الرمزية هي اصلح الطرق لمعالجة الامور الهامة في الحياة والمجتمع ، واشدها تأثيراً في النفس اذا احسن استخدامها .

وقد اسلفنا اننا سنتجاوز عن هذا النوع الاخير من الرمزية ، لانه شيء مألوف، وقليلون هم الذين يذكرونه حينما يذكرون الادب الرمزي، لأنه واضح بمراميه واهدافه . وعبارته هي عبارة الشعر العربي الناصع المألوفة .

اما النوعان الآخران من الرمزية فعلى الرغم مما فيهما من اغراب في التعبير ، الا ان المرء لا يسعه الا الاعتراف بان العبارة الشعرية فيهما تعتمد كثيراً على الرنين الموسيقي الذي يؤثر في النفس فيخدرها احياناً عن المعنى التفصيلي للقصيدة . ولعل هذه الموسيقى المخدرة هي التي قصدها سعيد عقل حينما قال في مقدمة « المجدلية » ان الشعر لا يكون الا في لا وعي النفس .. فنقله اذاً يقضي ان نعطل وعي القارىء ، بالايحاء او التعدد الموسيقي ... بان نضرب اصواتاً مختلفة في وقت واحد ، فاذا الوعي ولا صوت واحد يرتاح اليه ويعيه ، يحاول ان يضبط عدة اصوات معاً ، فيجتهد ويكد ولكنه ... عبثاً يجتهد وعبثاً يحاول ، فيتعب ويقع في الطريق ، ويترك الاصوات المتعددة تخاطب اللاوعي الذي وجدت له ووجد لها. وهكذا يلجأ الشاعر في القصيدة الى الايحاء ، وبكلمة اخرى الى تعدد الاصوات ليعطل الوعي ».

بعد هذا التمهيد الذي طال ، نرى اننا في حاجة الى سرد الامثلة من هذا الشعر الرمزي المغرق في الغموض ، والذي قرأنا الكثير منه لسعيد عقل ، وبشر فارس ، وصلاح الاسير ، وعلي محمد شلق ، والياس زخريا ، ويوسف الخال وغيرهم . فناخذ الان الابيات التالية لصلاح الاسير ، ونترك للمستمع الكريم ان يبحث عن معناها من خلال صدى الاصوات المتعددة التي يعزفها الشاعر في عباراته الضبابية الملونة .

تقول : ترى نلتقي   على خاطر ازرق
شظاياه غور القرار   من النغم المهرق
واغنية بعضها   انتظار غد مورق
قرابين عشنا لها   وللعدم المغرق
ونمضي فيغدو الصدى   اراجيح حلم شقي
كأن نداء الصباح   حرام على المشرق
فيا فكرة كالسراب   سألتك لا تتقي

ومن هذا القبيل الذي غام فيه الموضوع والقالب معاً بين رنين الالفاظ ورفرفة الصور المقنعة، نذكر ان ضجة ادبية ثارت مرة في مجلة الرسالة وتردد صداها طويلا بين صحف الادب في مصر ولبنان ، حول قصيدة لبشر فارس بعنوان «الى زائرة»، وكان الذي اثار الضجة الاديب حبيب زحلاوي الذي تبرع بجائزة مالية مقدارها عشرة جنيهات مصرية للذي يفسر له تلك القصيدة. ومن بين الردود العديدة التي نشرتها الصحف ولا سيما مجلة «الاديب» كان الاديب الوحيد الذي استطاع ان يجد لها تحليلا يمكن الركون اليه هو الشيخ عبدالله العلايلي ، وان لم يكن هناك اي دليل على ان المعنى الذي اهتدى اليه الشيخ هو نفسه المعنى الذي اراده الشاعر. وهذه هي قصيدة بشر :

لو كنت ناصعة الجبين   هيهات تنفضني الزياره
ما روعة اللفظ المبين ؟   السحر من وحي العباره
ظل على وهج الحنين   رسمته معجزة الاشاره
خط تساقط كالحزين   ارخى على العزم انكساره
ماذا بوجد المحصنين ؟   صوت شج خلف الستاره
غيبت في العجب الدفين   معنى براعته البكاره
دراً يفوت الناظمين   ونهضت تهديني بحاره
خطرات وسواس رزين   وهب تعميه الطهاره

وهذا الغموض المطلق لم يقتصر على الشعر المنظوم وحده ، بل تعداه الى النثر، او الى الشعر المنثور، ولكن العبارة الموسيقية المتعددة الاصوات تتكرر في هذا كما تتكرر في ذاك ، فهما من نبع واحد . وممن كتبوا في النثر الرمزي ـ بشر فارس نفسه ، والبير اديب، والياس خليل زخريا، وثريا ملحس، وسمية الحموي

والشيخ عبدالله العلايلي ، وان يكن هذا الاخير اقل رمزية من سائر زملائه ، لان رمزيته تعتمد على الجملة العابرة في خلال كتاباته الطويلة،وهي شيء مقبول يستسيغه القارىء العادي كثيراً ونختار من هذا النثر الرمزي قطعة لالبيرا ديب بعنوان «شرود» :

هات من عينيك هات
فقد اضمت الحياة
انفاسك الحرى
تسابيح اله مات
ضم رأسي لصدرك
نامت على شفاهي الصلاة
لن ارتوي عبقا وشذا
فاعصر الخمر
وهات الثغر هات
لم تكن قبل الأمس
وانت غد، من الأمس
نحن هنا كلانا
لا تقل انت انا
فلا يبقى لنا
انت وانا
فاشدد يديك
اخاف عليك
مني انا

وبعد هذه النماذج من الشعر الرمزي المغلق نمضي الى رمزية اخرى اهون منها واقرب ، تلوح النجوم من وسط ضبابها فيسترشد بها الساري بشيء من الصعوبة احياناً ، وبشيء من السهولة احياناً اخرى . وتلك هي رمزية العبارة او الصورة ، وتكون حيث يكون موضوع القصيدة مفهوماً ولكن الفاظها تكون متداخلة متماوجة تستوجب التؤدة لاجل الفهم. ومن هذا النوع قصيدة لسعيد عقل بعنوان «الحرية» في مطلع مسرحيته الشعرية «بنت يفتاح» على الرغم من غموض سعيد في الغالب، وهي :

جرح على النور الهوان	وما ثم معه الجنان
وبأضلع الاحرار آباد	صغيرات حسان
ان يستبد بها الزمان	يغن ثورتها الزمان
لي مثل غيري في العلى المثناف؟	مرمى وافتنان
انا لا اذل وفي جبين	الشمس يبدو لي مكان

فلو استثنينا « جرح على النور » و« باضلع الاحرار آباد » والفاظاً قليلة مسبوكة في صيغ او قوالب شعرية خاصة لكانت القصيدة من الشعر الجميل العادي ، ولكن هذه الالفاظ الخاصة قد اكسبت القصيدة رمزية خفيفة مليئة بالموسيقى الناعمة .

ومثل هذا ايضاً كثير من قصائد امين نخله كقوله يصف اللذة التي يحس بها لدى ذكر اسم الحبيبة :

يطيب باسمك ريقي في مدار فمي ويستقر لساني فوق سكرة

ومن قصائد رشدي المعلوف ، واكثر من هذه وتلك نزار القباني في دواوينه المتعددة « قالت لي السمراء ، طفولة نهد ، انت لي ، سامبا » . وفيما يلي مثال من شعر نزار جعل له عنواناً افرنسياً زيادة في الاغراب الشعري، وهو A la garçonne وقد نظم نزار هذه القصيدة في صاحبة له رآها وقد قصت شعرها على طريقة الشبان ، فقال :

اقطعتها ... ارجوحة الرصد	وفجعتني باعز ما عندي ؟
وحرمتني ضحكات مروحة	يا طالما شهقت على زندي
كيف اجترأت على جدار شذا	فهدمته وهدمت لي سعدي ؟
هذا ستاري البندقي ، هوى	ففجيعتي فيه بلا حد
سقفي وتابوتي ومدفأتي	وفراشي المجدول من ورد
ومظلتي السوداء كم حجبت	عني الشموس وهدهدت وجدي

ولعل من هذا القبيل ، او مما عبد الطريق لهذا النوع من التعبير الشعري الهفهاف ، ما رأيناه في « مواكب » جبران شعراً ، وفي بقية كتبه نثراً، ولا سيما في مثل « النبي » و« يسوع ابن الانسان » وغيرهما .

وتقرب منه كثيراً عبارة شعر فوزي المعلوف، وابو القاسم الشابي ، وكذلك عبارة الياس ابو شبكة في كتابه « افاعي الفردوس » بشكل خاص .

وبعد فان المجال ليضيق كثيراً دون الاتساع لشيء كاف من الامثلة التي نحن في حاجة اليها ، والتي تتشعب وتترامى امامنا كلما اوغلنا في الحديث ، فالموضوع واسع وجدير بالبحث المطول ، لانه مذهب جديد في ادبنا العربي ، وجدته جاذبية واغراء ، لما في قوالبه من اشراق وهفهفة ومن الوان ضبابية زاهية .

عمان عيسى الناعوري

الظل الحائر

•

... كالظل الحائر رفّ على الشط
تذرو النهم مقلتاه
وتزرع القلق خطاه
وعلى شفتيه بحّ النداء .
يا موجة!
يا ابنة الحيرة تدس في المدى الصاخب
يا ابنة الانفعال يثير أحقـاد البحر
ميعادنا ساعة يتناثر الطل
وينطرح سكون الليل على الرمل
وترسب في القاع أصداء الاصداء
وتهجع على الشاطىء رؤى الامواج
تذوب في سمرة الغبش أربعة :
« هي والشعر ، وانا وذؤابات القمر » .
شحيحة هي كغيمات الصيف
تمني السهل وتمنع الذروة
عقوق كسعادة العاثر
تلبس السراب وتخفي العذاب
وتظل ابداً تهويمة النعمى في خياله
وبسمة العزاء في دنياه !
يا موجة !
يسخر الشاعر الاضواء فيجبلها دمية
ويذيب الالحان ليصبها قصائد
ويعصر قلبه ليسيله شعراً
ويجمع الاطياف ليحيلها دنيا
ولكن الحب يا موجة
يحيله ظلا حائراً يرف على الشط
أتراها نسيتني ؟
كالحصاة تلفظينها على قدم الصخرة
وتعودين ؟ ؟

احمد سويد

مطالع النور

•

حياتي كلها ظلام .. في ظلام ! ..
دوماً افتش عن منافذ الاضواء ،
ومشاعل النور!..
.. ظلام في الحياة.. وفي المجتمع ..
ظلام في العادات.. والتقاليد الممسوخة!
ظلام في القيم الاخلاقية ،
ومقاييس الشرع والعقائد !
... بحار من الجهل.. والفساد.. والخنوع،
تتلاطم امواجها المصطخبة ،
على شواطىء البشرية المنهوكة !

***

... النور بعيد .. بعيد جداً ،
والقوافل المتطلعة نحو لمعانه النائي ،
تخب في السير ،
قاطعة الفيافي الوعرة..
والمسالك المحزنة السكئيبة !
.. والمزعزعون.. الذين انهكهم التعب ،
وطرحهم الفساد ،
ملقون بعيداً على منعرجات القمم
وفي اعماق الوهاد !
الطريق طويلة .. وطويلة جداً ،
الطريق ضيقة ...
واضيق من نفس البخيل اللئيم !
تعتورها المصاعب والويلات ،
وتجتويها المخاوف ..

***

.. حياتي كلها ظلام ... في ظلام !
ولكني برغم الظلام ،
اتطلع دوماً الى شرفات الاعالي ،
الى منافذ الحرية.. والتقدم.. والانطلاق!

دمشق — سليمان عواد

تأوهات برعم

مهداة الى الاستاذ عبد اللطيف شرارة

كنتِ طيفاً في خاطري يوم كانت وردة الحب ، برعماً طي نفسي
فاذا انتِ نفحة من هيامٍ تمزج الطيب في ثمالة كأسي ...
هزك الوجد فاختلجتِ افتراراً وتقدمتِ في ذهول وهمس
تدفعين الاوراق ملء ذراعيك وتمضين في غياهب بؤسي
تشعلين الذكرى بهمسة جفن وانا في الذرى اراود امسي ...

***

ايها الطيف قد انرتَ طريقي ثم اطفأت في سمائك شمسي ! !
انا اهواكَ والهوى ذكريات ورؤى تضرم الضنى والتأسي
انتِ صمت الرؤيا بدنيا ذهولي انت وهج الذكرى بعالم يأسي ،
انت يا انت ... موجة من خلود وملاك يظل يحرس رمسي
فاذا متُّ فيك ادفن سري حاملا للسماء اكليل عرسي ...

مصطفى محمود

من اسرة الجبل الملهم

شمعـون بوزاجلـو

بقلم نجاتي صدقي

في مدينة ... حي لليهود ، يرجع تاريخ انشائه الى الحرب العالمية الاولى ، يعرف بحي التنك ، لانه مبني من الاخشاب والصفائح القديمة ، ويؤلف هذا الحي بمجموعته بناء طويلا ، تتشابك اسطحة بيوته الحراوية اللون تشابكاً متيناً ، لتحمي ساكنيه من الامطار والرياح شتاء ، ولتجلب لهم الفيء والبرودة صيفاً ، وينتصف ذلك البناء الطويل مدخنتا الحمام والفرن العموميين ، فيبدو للناظر اليه من بعيد كما لو انه مصنع لتصليح السيارات او معمل للتبغ او مدبغة للجلود .

وتنبعث من حي التنك هذا روائح كريهة ، لأن مجاريه تمتد على وجه الارض لا تحتها ، ومن مناظره الدائمة : الغسيل المنشور على حبال تصل بين النوافذ ومزاريب المياه ، كما تصل اسلاك الهاتف والكهرباء بين البيوت والاحياء ، وجماعات الشيوخ الذين يجلسون عند عتبات بيوتهم يتسامرون ويتسارون ، وحلقات العجائز وهن يقطعن العجين ويصنعن منه الواناً من المكرونة والكسكس .

ويظهر هذا الحي هادئاً مسالماً لا يعرف شيئاً من مشاكل الدنيا التي تعرفها الاحياء الاخرى المتكالبة على الماديات ، كما يظهر ان سكانه قوم قانعون في حياتهم ، مكتفون بالعبادات ، راضون بما يقتاتون من تصنع ايديهم ، وتنتجه مواهبهم.

ومن سكان هذا الحي شمعون بوزاجلو ، فهو رجل من جماعة الحاسيد(١) المعروفين بتعصبهم الديني ، يقوم احياناً بمهمة شوحيت(٢) يذبح الطيور والماشية ، ويقرر فيما اذا كانت اللحوم المذبوحة هي كاشير اي محللة ، ام هي تاريف اي محرمة ، وزيادة على ذلك فهو من اصحاب الاملاك ومراب معروف يفضل اقراض الجوييم(٣) بفوائد متقلبة ، ويقبل رهونات مثل الاساور ، والاقراط ، والعقود ، والادوات الفضية ، والنحاسية والسجاجيد والالبسة الحريرية الخ ...

هذه بعض اعمال شمعون اليومية ، ويشهد له اهل حيه انه رجل وقور ، طيب القلب ، هادىء الطبع ، لا ينقطع عن اداء فروض الصلاة في ايام السبوت .. لكن امراً كان يحيرهم ويقلق بالهم ، هو اختفاء شمعون الغامض ، فكانوا يلحظونه يخرج احياناً في وقت مبكر وهو يرتدي البسة بالية ، ويسير الهوينا متجها صوب المدينة ، ثم يظهر ثانية في حيه بعد ذلك الغياب ، يمارس اعماله كأن شيئاً لم يحدث له .

---

(١) الحاسيد : عند اليهود جماعة من المتعبدين والزهاد ، وهم لا يؤلفون شيعة في اليهودية .

(٢) شوحيت : هو الذباح ، وذباحة الطيور والماشية عند اليهود عمل لا يقوم به الا افراد لهم مرتبة دينية .

(٣) كل من هو غير يهودي فهو «جوى» بالجيم المصرية ، وتترادف هذه الكلمة مع الرجس والكفر والزندقة .

قصة

والواقع ان سر اختفائه هذا كان مدار حديث القوم خلال زمن طويل ، وانتشرت حوله شائعات متضاربة كثيرة فمنهم من ظن انه يشتغل بتجرة او محجرة زيادة في طلب الرزق ، ومنهم من قال انه يذهب خلسة الى الكنيس يطلب الرحمة والمغفرة ، ومنهم من ادعى انه يقوم بجولات للاحسان مستترة ، ومنهم من نفى ذلك كله واصر على القول بان لشمعون عشيقة يستضيفها بين الفينة والفينة، وكان اذا سئل : اين كنت يا شمعون؟ رفع شاهده الى السماء وقال : العلم عند الله .

وظل شمعون دون زواج حتى بلغ الخمسين ، لانه كان يخشى النساء ويمقتهن ، فهن في معتقده ماديات ، عنيدات ، انانيات ، لا يؤتمن على سر ، ومن طبيعتهن الغطرسة التي لا تحد بحد ازاء من يتزلف لهن من الرجال ، او المسكنة التي لا تقاس بمقياس اذا ما وقعن في اسر الرجال ذوي الارادة القوية .

وكان لشمعون جارة اسمها سمحه ، وهي امرأة عليمة بنصب الشباك والمصائد ، وكان لها ابنة صبية اسمها رويبكا ، وقد قر رأي الام والبنت على اخراج شمعون من عزلته غير الطبيعية ، فعملتا خلال زمن طويل على درس احواله وعاداته ونزواته، الى ان تيقنتا ان افضل طريقة لاخضاعه الى سلطان المرأة هي في اصطناع السذاجة والاغراق في التدين، والاستنكاف عن المنافع المادية .. فاخذت ام الفتاة في بادىء الامر تلقي عليه تحية الصباح من النافذة المطلة على بيته ، او تقدم له فنجانا من القهوة وتسأله الدعوات الطيبات ، ثم راحت تقدم له ما تيسر مما تطبخه ، ثم سألته ان تغسل له البسته ، وكان كلما عرض عليها اجراً ابت قبوله قائلة : الناس الصالحون يخدمون دون مقابل ، لانهم يخدمون الناس لوجه الله الكريم .

وظلت سمحه تعنى به ، وتتودد اليه الى ان قالت له ذات يوم: تصور يا شمعون اني سارحل مع رويبكا عن هذا الحي فمن الذي سيقوم بخدمتك .. ومن الذي سيهيء لك الحميم(١) في ليلة كل سبت .. ومن الذي سيوقد لك الشموع ويقدم لك النبيذ ويهيء لك الجو الرائق الذي تتوق اليه اثناء قيامك بالتفيلا(٢) ؟..

قال : العلم عند الله .

(١) الحميم : اكل يضعه اليهود في قدر من الفخار ، يحكمون غطاءه ، ثم يسلمونه للفران في عصر يوم الجمعة ، ويظل في الفرن طيلة الليل ينضج على نار خفيفة ، واذ يصبح السبت يحمله اصحابه الى البيت ويتغدون منه ويتمشون .

(٢) التفيلا : الصلاة .

قالت : اجل العلم عند الله ، ولكن عليك انت ايضاً ان تعلم ، فالله خلق لك العقل، وبين لك ما هو محلل وما هو محرم فعليك ان تعيش مثل سائر الناس ، وليس لك اي مفر من الزواج ، وثق بان ابنتي رويبكا لا تطمع في شيء مما تقتنيه ، وجل ما تصبو اليه هو رفاهيتك وسعادتك ، وهي مثلي يسرها ان تخدم الرجال الصالحين .

قال : لكنني اخشى المرأة ..

قالت : دع عنك هذا الوهم .. فالمرأة هي مخلوق ايضاً .. فاقدم على الزواج اذا كنت تطلب الستر والراحة ، زد على ذلك بان رويبكا فتاة حلوة مثل قضيب السكر ! ..

فمشط شمعون لحيته باصابعه، وابتسم ابتسامة صفراء ..وعقد قرانه على الفتاة .

وبعد انقضاء ايام معدودات على هذا القران قال شمعون لزوجته الصبية : اسمعي يا رويبكا .. انني ذاهب الى المدينة لقضاء مهمة ما ، وسأعود اليك بعد يومين او ثلاثة فلا تقلقي علي .

قالت : انني زوجتك الان ، وبيت اسرارك ، فهلا خبرتني الى اين انت ذاهب ؟..

قال : العلم عند الله .

وتوالت رحلات شمعون الخفية هذه الى ان تضجرت منه زوجه واستشارت امها في الامر ، فاتفقتا على ان تقتفيا اثره بالرغم مما يبديه من حذر شديد .

وبعد ان لاحقتاه طويلا تمكنتا من اكتشاف سره، فكانتا كلما اختفى تفرقتا تبحثان عنه في الاماكن التي يتردد اليها دائماً ، فتعثران عليه وتعيدانه الى منزله .

وحدث مرة ان افتقدته زوجه اسبوعاً كاملا ، وعبثاً راحت تبحث عنه مع امها ، اذ يبدو انه امعن في التنكر ، الا انهما اقسمتا على مواصلة البحث عنه في النواحي المجاورة للمدينة والعودة به الى البيت مهما كلف الامر .

وقرأ الناس ذات يوم في الصحف هذا الخبر الغريب :

«لزم شيخ يهودي موقف السيارات منذ اسبوع ، وقد اسدل قبعته على عينيه واذنيه ، وكان يستعطف المارة ، ويستدر شفقتهم بعبارات تفتت الاكباد ، وتجمع الناس امس حول هذا الفقير ليشاهدوا امرأتين تتقدمانه وتأخذان بخناقه وتجرانه عنوة .. وهو يقاوم ويستغيث ! »

نجاتي صدقي

طفل عجوز

☆

وفي الافق البعيد
ومع الفجر الندي
ظهرت العربة
براقة كالشمس
يسيرها إله خفي .
« امسكوها .. وقيدوها »
ابداً .. وفي حمية واندفاع
وبين الروابي والضباب
اختفت مع النور ..
« اذرفوا الدموع .. واأسفاه »
ومن بعيد
لاحت العربة الذهبية
يقودها غزال شرود
عيناه تقدحان الشرر
وفاه يقطر منه الزبد
وقلبه ينضح غراما
ومن سويداء نفسه
نزف الدم اسود ..
«يا لصرعى الضلال.. انقذوه»
قهقهت افعى من جوف حفرة
مكشرة عن انياب صفراء
وانسلت على التراب
تنثر الذهب والشر
تتلوى يمنة ويسرة
لتنزوي بعيداً .. في الجحر .
جمح الخيال وتهادى
اغنية في اعماق البلبل
ينشدها مع الفجر شعراً .
« قف ايها الغزال الجموح .. »
وكالسيل الجارف
والعاصفة المزمجرة
والزوبعة الحمقاء
هكذا اندفع الشرود
يقود العربة بحماس
من عينيه يتألق البريق
وفي خديه يعلوه احمرار
وعلى شفتيه تتراوح ابتسامة
ومن خفقات قلبه اغتباط
بالشهوة الحمراء
ابداً .. هو نسر مجنح
ابى الرضوخ
فجمح وولى
فتردى من عليائه
وتضرج بالدم.
«آه..هوذا.. انه طفل عجوز»
بين منعرجات الطريق
وثنيات الروابي
ظهرت العربة الذهبية
عندما لاحت الشمس
فكانت محطمة
وعلى مقربة منها
غزال .. غزال مضرج
تتسارع انفاسه
نحو الفناء .
ومن بعيد
وراء الافق الشاحب
كان القلب يئن .

باريس — يوسف محمد رضا

فؤاد صروف في حياته وثقافته

صور لبنانية وسورية على ضفاف النيل

بقلم السيدة وداد سكاكيني



منذ عرف المثقفون في نهضتنا الحديثة البحوث العلمية، وشاقهم ما فيها من انباء الطبيعة والاختراع، تردد في مسامعهم اسم «فؤاد صروف» وطاف بخواطرهم تجديده وطموحه.

بدأ هذا العالم الطلعة حياته الفكرية منذ حداثته، وكأنه أوتي لب الشيخ ورزانته فما كاد يتخرج من الجامعة الامريكية في بيروت ابان زهوتها وتألقها بعد الحرب العالمية الاولى حتى تلقته المعاهد اللبنانية العليا بالحفاوة والاعجاب، فكان فيها من اقدر الاساتيذ الذين يفتحون الاعين المحدقة على غرائب العلم وعجائب الكون، وليت شعري هل كانت دراسته الجامعية الا فاتحة عهد كبير لتتبعه الدائب وتحصيله الشامل، فكان من نفسه في جامعة كبرى لها اساتيذها وعلماؤها، وفيها مختبراتها ودور تجاربها، وإذ بصروف المعلم يشب بعد حين عن الطوق المحدود وينشر جناحيه في آفاق بعيدة، تملؤها اشعة الحياة وتدور فيها كواكب لا عداد لها من ثواقب المعرفة والثقافة، واذا به ينفلت من افق لبنان الى آفاق النيل فحط رحله في ارض الكنانة، حيث يجد فيها متسعاً لحياته الفكرية والعلمية، ودأبه المرجو المثمر، وتكون مجلة المقتطف قد استولت على امد شهرتها، في وقت لم يكن مثلها يشغل العالم العربي باطوار العلم والحضارة، وبدائع الافكار والابتكار.

قامت شيخة المجلات العربية يومذاك مثل هيكل جبار، تأوي اليه عقول المفكرين من هذا الشرق لتسكن فيه بمحاريب فلسفية وطبيعية، فاذا أرخت الحركة العلمية الحديثة في شرقنا هذا كان المقتطف الاغر قوة مرموقة من قوى هذه الحركة التي امتدت منذ فاتحته الاولى.

ولقد تجلى التطور العصري للمقتطف بالردحة التي استعان فيها الدكتور يعقوب صروف احد منشئي المجلة بكفاية ابن اخيه فؤاد، فقد كافه الاشراف على المقتطف، لا يفوته شيء منها علمياً او إدارياً، وكان يكتب المقالات الاولى التي عدت في نظر العلماء والثقات من اهم المراجع والثبوت المعاصرة لتطور الثقافة العلمية في العالم، وبقي فؤاد صروف يرعى المجلة بتفكيره وتدبيره حتى غدت ارقى صحيفة علمية في العالم العربي.

كان يحبب بحوث العلم على جفاف مادتها وجفاف طبيعتها الى نفوس القراء حتى صار سوادهم يستسيغون مقالاته العلمية ويؤثرونها على فنون الادب وتزاويقه، فقد اوتي اللباقة والمرانة في تبسيط العلم وتيسير بحوثه، وكان المعلم الاول على ريق العمر في نقل الفكر الغربي الى اللغة العربية، وكم كان له من تجوال في المجموعات الشمسية سارداً اطوار نيازكها واشكال مداراتها، بما يغري المتتبع في التعمق والتوسع، فضلا عن جولاته الخاصة في نطاق المحدثات العلمية الراهنة.

ولن ننسى ذلك المساء الذي شهدنا فيه الاستاذ صروف في قاعة الجامعة الامريكية بالقاهرة، وكان مع زميلين له جعلوا تحاورهم ونقاشهم علانية امام الجمهور، وكان الناس زحاماً في تلك العشية، مشوقين الى سماع كلام يدور حول الكشف العلمي الرهيب «الطاقة الذرية».

كان ذلك جديداً على الناس في روعته وطرافته، وقد اخذوا بما طلع به عليهم الاستاذ فؤاد من تهاويل الطاقة وعالمها العجيب وما كان اجمل تلك المسألة التي القاها المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني اذ كان من المتحدثين فقال لزميله صروف:

– كل شيء مفهوم او قابل للفهم عندي بهذه القضية الا الماء الثقيل فهل لك ان تبسط لنا ما تعلم عنه؟

فانطلق الاستاذ فؤاد على سجيته ورسله وشمول علمه متحدثاً عن هذا الماء الذي له صلة وثيقة بقضية الذرة، فاجاد وافاد.

ولم يلبث هذا المحاضر الخبير ان صرف قلمه وعلمه الى افق اوسع من مجلة المقتطف فراح يلقي المحاضرات ويسهم في المناظرات بالمجمع المصري للثقافة العلمية وفي قسم الخدمة العامة بالجامعة الامريكية وكانت آراؤه واقواله تدور حول قضية الساعة وهي القضية الذرية حتى وفاها حقها من الدرس والبحث ونشر موضوعاته فيها مبسطة للجمهور باداء جلي وتعبير سديد.

ولما وضعت الحرب الثانية اوزارها كان الاستاذ صروف حجة في السياسة العالمية فعهدت اليه اذاعات في الشرق والغرب والامم المتحدة ان يحدث الناس باحاديث تلقي النور على الاوضاع

الدولية ومشكلات الدنيا فكان ذلك مجالا آخر لنشاطه وجهده فراح يحدث عن قضايا الساعة وفي طليعتها قضية فلسطين ومسالة الشرق ، وحين اذاع موضوعه « موعد مع التاريخ » لم يجد ان العرب وحدهم هم على موعد مع تاريخهم بل الانسانية جمعاء ، اذ انها تقف امام العالم وعلى وجهها سمات العزم ساعية الى تحقيق اهداف ثلاثة : ان تحجز استقلالها وان تجعل وحدة قصدهــا حقيقة لا مراء فيها،وان تسير قدماً في طريق التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وقد استطاع المحدث المفكر ان يصور نهضة العرب السياسية فسماها الجهاد الاكبر ، وحقاً انها لاكبر جهاد عرفه الشرق منذ الحرب الصليبية ، ومن يتتبع محاضرات صروف واحاديثه يجد فيها من الاراء والاحكام ما ينم على منهجية عقلية وانسجام منطقي وزمني ، فاذا تناول بعض الاحداث العالمية بالتعليق والاستقراء رأيت فيهما من الرأي والفكر ما يدل على بعد النظر ورصانة الحكم والاستقصاء ، وهذا كتابه « موعد مع التاريخ » فيه برهان وتبيان للاحداث الجسام التي مرت بالعالم في سنوات ثلاث وسبب ذلك هو التنظيم العلمي الذي طبع عليه الاستاذ صروف فكانت موضوعاته في السياسة العالمية والقضايا العربية شافية لغليل المتتبعين والمتحيرين .

عرف الاستاذ فؤاد صروف مصر منذ ثلاثين عاماً فاتخذها وطناً ومقاماً بعد لبنان الذي وهب له عبقرية الفكر كما منحها لبعض ابنائه الافذاذ مقيمين ومغتربين ، فهو من الرعيل الاول الذي لم يقنع بما تلقى في حداثته وشبابه من علم ومعرفة ،ولو ان نصيبه في الحيــاة جرى جامعياً تدريسياً لما تقدمه استــاذ في الموضوعات العلمية التي اتقنها وتتبع تطورها وصار له اختصاص بها غير أنه لم يعبأ بالالقاب الثقافية ، ولا سعى وراء السوانح التي تمهد له المناصب الحكومية ، وانداده اليــوم يشغلون المراتب الكبرى ، ويمثلون بلادهم في السلك السياسي ، على ان الاستاذ صروف دبلوماسي بالفطرة والطبيعة أوتي اللباقة والرجاحة في لهجته ومعاملته ، وكان من النماذج الفكرية الحية التي تمثل نبوغ لبنان وتظهر موهبة العلم في بعض ابنــائه الى جانب الادب ، فكثير منهم قد جمعوا الموهبتين وبرزوا في الصنــاعتين ، ولم يدخلوا الضيم بواحدة منها على الاخرى .

ولئن عرف الاستاذ صروف في افق السياسة ، فان ذلك كان من حظ السياسة نفسها اذ انه تمرس بها وألم بدخائلهــا ليبصر الناس بها ، لا ليصطنعها وسيلة الى وظيفة او زلفى،وانه ليعد اليوم في العالم العربي من اعلم رجال السياسة بقضايا الامم واحداث الدول ، ومهما كان إيمانه بالعلم فانه يرى ان هذا العلم لا يغني عن الاخلاق .

وقد استطاع فؤاد صروف منــذ سنين قريبة ان يطلــع الشرقيين على اطرف ماكان ينشر في مجلة « المختار » منقولا الى اللغة العربية ، وبقيت هذه المجلة تطرف قراءها الملايين باحدث الموضوعات في الثقافة العامة حتى وقفت لاسباب مالية ، غير ان إيثار الاستاذ صروف الجهاد الصحافي جعله وثيق الاتصال بهذا الجهاد ، ومن يدري فربما طلع على الناس في زمن قريب او بعيد بمجلة كبرى ، او صحيفة طريفة تكون ام المجلات الفكرية في دنيا العرب ، فقد ضاق المثقفون بصحف الاستغلال والثقــافة الجوفــاء التي لا تغني ولا تروي من ظمأ فكري ولا تستهدف الخير العام والتوجيه المنشود .

هذه صور متخطفة من حياة لبناني موهوب اندمج في الافق المصري وتمازج باكابر علمــائه ومفكريه ، فهو منذ وفد على ارض الكنانة كان كنجم سيار يدور حول كوكب كبير، ذلك الكوكب هو عمه الدكتور يعقوب صروف الذي شارك في بناء النهضة العلمية الحديثة بوادي النيل ، فاقتدى به فؤاد ، وفي هذه السماء المشعة بانوارها اطل كوكب « مي » فملأ دنيا العرب ، وكان مجلس « مي » مثابة لاهــل الفكر والشعر والفلسفة ، فاخذ الاستاذ فؤاد رتاد ذلك المجلس الحافل ، ويختلف اليه مع مرتاديه الذين كانت تفحهم « مي » بادبهــا الريان وحديثهــا الاخاذ ، ففي هــاتيك الظلال تألق فكر صروف ، واتصل باعلام النهضة الحديثة ولو اتيح له ان يكتب لنا ذكرياته عن ذلك المجلس لجاء بالشائق العجاب ، فمن حق الادب ان يؤرخ ذلك العهد ويذكر احداثه الفكرية التي كانت سبيلا الى التجديد .

اما الصورة التي تبدو في حياته الخاصة فهي ابوته الرحيمة ومودته الكريمة ورعايته لبيت جليل يحيط به الحنان والنظــام والوقار، وإنه لصديق وفي لكثير من الادباء والشعراء يتعهدهم بالمحبة والتقدير ، ولا ينساهم في المحن وغفلات الزمن .

ان سفينة فؤاد صروف تجرى في خضم الحيــاة الكبرى وقادة المرجل سديدة الموصلة ، لان عليها رباناً حكيما جــادته السماء بالايمان والصفاء وواتته الرياح بمــا يشتهي ، فكان حجة بتوفيقه على مزاعم المتنبي ، وان صح التعبير واستعرنا من الشعر كلاماً قلنا انفؤاد صروف رجل بأمة وعالم صغير في العالم الاكبر .

القاهرة — وداد سكاكيني

عجوز

•

لوديع ديب

راحت تدب على عصاها وتجر رجليها وراها
قصرت مسافة عمرها فمضت تقصّر من خطاها
تمشي وعين في ثرى الدنيا واخرى في سماها
ماذا على الافق البعيد يلوح من دنيا رؤاها
حتى أراها كلما وقفت تردد الف « آهـا »
ماذا رأت خلف الغيوم ! لعلها بصرت صباها
حجبته استار الضباب فلاح برقاً في دجاها
من ذا يعيد ربيعها الحالي الرؤى إلا شتاها
فبكت بكاء سحابة ذابت الى لقيا ثراهـا
يا للعجوز وأمسها الجاني وقد ذكرت هواها



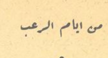
المراشف والمقل

•

لفيليب لطف الله

سان بولو ـ البرازيل

خلقت شفاهك للقبل والحب في نور المقلْ
روح الزهور اريجها ورضابهـا شهد العسل
بات الشقيق بثغرهـا وبعينهـا بات الامـل
خضبتهـا بدم القلوب وصنتهـا بدم الخجل
لا تمنعيها قبلة تشفي السقيم من العلـل
لا تحرميهـا نظرة فيهـا الدعابـة والغـزل
لا ترسليهـا اسهماً سهم المحـاجر كم قتـل
وترفقي بمتيم يكفيه ظلمـاً مـا حمـل
يبكي على عمر مضى خلف الوصال وما وصل
حمـل السنين ثقيلة بين التعلـل والعلـل
لا تظلمي فالحسن سلطان جميل إن عدل
لو تجعلـين منيتي بـين المراشف والمقـل



دفاع منتصف الليل

بقلم يوسف الشاروني

الى صديقي في القصة القصيرة عبد الملك نوري اهدي هذه القطعة الفنية التي احبها من كل قلبي لأني احس انني عبرت فيها عما يعانيه شرقنا العربي من ارهاب ومذلة حيث احتلت عيون البوليس المكانة التي كانت تحتلها عين الله في العصور الوسطى، فأصبح من حقهم ان يتتبعوا الناس ويعرفوا خفاياهم، وحتى اصبح مجرد وجود الافراد تهمة عليهم ان يدافعوا عنها. اما الأفراد فعليهم ان يدركوا ان وسيلة الكفاح الفردي قد انتهت ولم تعد الا لونا من الوان الدون كيشوتيه، ووسيلة الخلاص الوحيدة في عصرنا هي الكفاح الجماعي المنظم

✡

كان ذلك عند هبوط المساء الا قليلا ، حين كنت ابحث عن شيء احك به جسدي ، وكانت الليفة هي حاجتي الحقيقية للخلاص مما انا فيه، وانا أؤجل ذلك من يوم الى يوم، حتى ادركت اخيراً ان الامر اصبح ضرورياً لامفر منه.

ولقد صدق حدسي حين هبطت الطريق التي توسمت انهم يبيعون فيها امثال هذي الحاجات . فقد عثرت اخيراً على الليفة الاخيرة في دكان بائع متآكل الانف ، وكانت ليفة كبيرة من غير نفع ، فهي ممزقة كئيبة ومليئة بالثقوب كانما اكلتها الفئران . ولكن ما احب الجولان في الطرق ، وأخشى ان تثير كثرة السؤال شبهة حولي ، كما أني ما احب ان اعود من رحلتي فارغ اليدين . فدفعت الثمن في غير جدل ، ولاحظت البائع وهو يلفها لي في كثير من ورق الجرائد في عجلة وبغير كبير عناية ، ثم يمد قامته نحوي قليلا ويدسها تحت ابطي .

فلما خرجت وسرت ، وجدتني - وعلى بعد خطوات قلائل - امام واجهة زجاجية تزدحم خلفها أدوات مختلفة وكثيرة للزينة فبدا لي ان اقف لاسرح فيها البصر . وكانت زجاجات العطر والوان الصابون وارقام الاسعار تنتثر وتنتصب وتستلقي ، والى جانبي معطف من الفراء يطل منه وجه حسناء ، وتنبعث منه رائحة نفاذة ، وشاب يحادثها وهما يتصنعان تأمل العطور والصابون والاسعار ثم يتلفتان يمنة ويسرة كأنما في حذر فلما دلفا داخل الدكان احسست ان شيئاً يشدني بخيوط لزجة نحوه كانه المادة الكريهة المتراكمة على جسدي . ولم ادرك ذلك الشيء في اول الامر. لكن حين استدرت لأعبر الطريق وسط زحمة السيارات والناس كنت قد امتلأت رغبة عنيفة في الاختفاء، فاسرعت نحو طريق يهدأ فيه النور قليلا وتهدأ فيه الحركة كثيراً ، ولما اصبحت على مبعدة من هذين الشخصين استدرت خلفي فجأة ، وكان الطريق يكاد يكون خالياً . الا اني كنت موقناً ان ثمة عينين لزجتين تنتظراني في مكان ما وتتعقبان طريقي لسبب ما .

فانحنيت نحو احد الشوارع الخلفية ، وكانت اللفافة تعوق حركتي وهي تحت إبطي ، فنقلتها الى يدي اليمنى ، وهكذا اصبحت اكثر حرية . ثم اصبحت اكثر انحناء واسرع مشياً وانا اخطو في حذر الى جانب المنازل الضيقة المتراكمة المعتمة ، باحثاً عن طريقة للفرار . غير ان طريقي الضيق سرعان ماافضى بي الى آخر متسع ، يضج بالنور الباهر والحركة والناس والعطور، وينعكس الوهج على عيني ويملأ العطر أنفي، واحسست بجسدي يخوض في قطع اللحم المتحركة المسرعة المتعطرة ، وادركت أية سهولة يجدها في مهمتهم من يقتفون أثري حين ينتشرون في هذه الزحمة الكبيرة المتسعة ، وهكذا اشرت الى سيارة من سيارات الاجرة، فلما انحنى سائقها بها نحوي لمحته يتردد قليلا ، وحين وقفت سيارته امامي تماماً اخذ يفحصني بريبة وينظر الى اللفافة في يدي، فأدركت ان ثمة ما يقلقه مثلي،



وثمة ما يقلقه مني ، وفكرت ان افتحها له وأريه ان ما بداخلها ليس سوى لفة مما يستحم بها الناس ، غير انه لم يكن ثمة مجال للنقاش ، فلوحت له بحافظتي ، وفي لمحة واحدة كنت قد اغلقت بابها على نفسي ، وجلست وحيداً وامامي سائقي الاسود .

وكان عليه ان يتجه الى مكان ما . وكان هذا غريباً وضرورياً وصعباً للغاية . فاين تمكن ان اختفي في غير هذه السيارة؟ ولكن السيارة كانت منخفضة للغاية وجسدي منحنياً في داخلها كأنما اتأهب للصلاة بغير ان اصلي . ولقد كرر السائق سؤاله عن الجهة التي اقصدها وهو يلمحني في مرآته التي امامه منبعجاً الى هذا الحد الفظيع في سيارته الصغيرة الخانقة . فلما عبرنا طريقين مزدحمين وتأهبنا للانحناء في طريق ثالث احسست السيارة ترتج فجاءت كأنما تزلزلت الارض تحتها ، وسمعت صوتاً مزعجاً ، صوتاً غير انساني ينبعث من اسفل سيارتي . ولمحت رأس السائق كأنما تأرجح في الهواء ، بينما اصطدم جانب السيارة بشدة في ذراعي اليمنى حتى لقد حسبته قد اصبح كتلة خالصة من دم متجمد ، فلما اطللت من زجاج النافذة المرضوض وجدت ما يشبه بقايا رجل كأنما اجبر على ان يزحف بنصفه الاسفل تحت عجلات السيارة ، والدم ينزف من ذراعه اليمنى ، والقوم يتجمعون ويتفرجون وينزعجون . وخيل لي ان ذراعي انا ايضاً - وبغير حق - تقطر دما . فأمسكتها بيدي الاخرى وانا اضغط اللفافة بينهما . وكان علي ان اجد مخرجاً ، وانا انظر في عيني سائقي ، وهو مشغول بالاجابة على غضب الجماهير التي تزاحمت حتى اصبح مجرد انتسابي الى السيارة شيئاً خطراً للغاية ، وهكذا كان علي ان اتخلى عن سائقي في هذه اللحظة الحرجة من حياته لئلا يكتشفني احد الذين يتعقبونني ويجدون الفرصة ملائمة لهم ، فيشركونني في اتهام لا يد لي فيه . وهكذا حملت لفافتي وتسللت من السيارة وانا احس ارتجاجها في ذراعي حياً ومؤلماً وفظيعاً للغاية . وتركت سائقي وحيداً وله في عنقي بضعة قروش لم ادفعها له ، واتجاه لم اخبره عنه ، ومعونة ما قدمتها له . ونظرات الذعر في عينيه لا تمحى من عيني .

وكان علي ألا استسلم والا أسلم نفسي ابداً لمطاردي . لهذا عندما وجدتني امام باب للسينما - وفي مقابل الجمهور المزدحم تماماً - عرجت ناحية النافذة الحديدية المربعة ، حيث جلست عجوز مصبوغة الالوان تقضم أظافرها وتتأملها في سرعة وقلق ، فانحنيت واشتريت منها تذكرة بغير ان أعرف اي الافلام سأرى

ولا من ذا الذي سيجلس على المقعد التالي بجواري . وحين انحنيت وانا داخل من الباب المنخفض لمحت قاطع التذاكر يهمس شيئاً في اذن زميله ، ولا ريب ان اللفافة اثارت شيئاً من ريبة في نفسيهما ، مما احزنني حزناً شديداً ، لاني كنت واثقاً أنه اذا قدر لاحد ممن يقتفون أثري ان يسألهما عني ، فلا شك انهما يستطيعان تذكري ويدلانه على رقم مقعدي .

وكان الفيلم قد بدأ وانا داخل على اطراف اصابعي ، والاشياء تبرز قليلا قليلا من العماء التام الذي واجهني حين دخولي . وحين اصبحت اكثر ألفة من العتمة تحت سقف القاعة يكاد ينحني فوق الناس وقد ازدحموا ازدحاماً لا مثيل له كأنهم مذعورون يلجأون من غارة . وقد حشرت بين رجلين عن يميني كانا يتحدثان بصوت خفيض كأنما يقلقهما أمر ، واحدهما دائم التمخط ، وسيدة عن يساري تحك ذراعها وهي تهمس شيئاً في اذن زوجها - على ما يبدو - مما اغراني لحظة ان احك انا ظهري المتلبك بالعرق ، ولكني ما كنت لاجرؤ على ذلك لئلا ألفت الانظار وابعث الاشمئزاز من حولي . وكان في همسها شيء من كآبة كأنما انتزع ابن بالامس منها . اما وجودي المفاجيء فيبدو انه قد اثار حولي شيئاً من التأفف لاني احدثت شيئاً من ضجة وقطعت عليهم صمتهم وإنصاتهم ، كأنما أزيز الطائرات فوقهم . ولا شك ان الجالس الى خلفي كان سيء الحظ تماماً ، فقد سمعته يبدي بعض التبرم ، ويهمهم بكلام غير مفهوم راجياً ان يصلني منه شيء ، فقد كان يبدو انه قصير القامة وعليه ان يميل ان يميناً وإن يساراً اذا حرص الا يفوته انتحار احد ابطال القصة ، ولقد انتحر البطل فعلا ، ولكنه لم يكن البطل الرئيسي بطبيعة الامر ، الواقع ان هذا كان البداية فقط . وكان مقعدي منبعجاً الى الامام قليلا بحيث اكاد انكفيء على وجهي ، في احد جانبيه انخفاض شديد ، وحين حاولت ان اعدل من جلستي المضنية سرت طقطقات في المقعد وانتشرت حتى آذت القوم من حولي واحسستها تسري في اسناني فآثرت ان اظل ساكناً لا التفت يمنة ولا يسرة منحنياً الى الامام متشبثاً حتى النهاية بمسندي مقعدي . وبينما كانت السيدة تحك الآن فخذها باظافرها الطويلة المصبوغة وبصوت خشن مسموع كان البطل الحقيقي يطبع قبلة على شفتي حسناء ، تصاحبها موسيقى عاطفية حالمة . وفجأة - وعلى الشاشة - بدا ضجيج موسيقي كتفجر القنابل ، والسيدة الى جانبي ما تنفك تحك ساقها اليمنى ثم مابين ثدييها ثم تمسك منديلا به تجفف دمعتين ، فلا ريب ان البطل

كان يستحق كثيراً من الرثاء ، بحيث لم استطع انا ايضاً ان امنع عن نفسي احساساً فجائياً بالكآبة . فلما لمحت زوجها يشاركها دموعها ادركت ان شيئاً هنا ـ مريراً وكئيباً ـ يمس حياتها .

غير ان هذا لم يكن كل شيء ، فقد كانت النهاية السعيدة مقبلة بلا ريب ، فرغم هذا الخطر الحقيقي الماثل ، ورغم هذه الكآبة الضرورية الفجائية ، فقد كان يملأني ايمان ـ استمده من كثرة الافلام التي رأيتها من قبل ـ ان هذا ليس الا السبيل الى الاحساس بالنصر الحقيقي السعيد . وهكذا سرعان ما انشرحت الاسارير ـ التي اكتأبت مدى ثماني ثانية كاملة ـ ثم ضجت القاعة بتصفيق متقطع أجوف ، وقهقهات منبعثة من اماكن بعيدة ومجهولة ، والرجل ماض يحدث صديقه حديثاً هاماً ، اكثر اهمية مما كان عليه من قبل ، بحيث مال تماماً على اذنه واصبح خفيضاً ومتصلا وجدياً .

وكان يبدو ان البطل يبحث الآن عن حسنائه ليقبلها القبلة التقليدية الختامية على ما اعتقد، او لعله سيبدأ معها دوراً جديداً من ادوار القصة ، غير ان صوت الاظافر الخشن عن يساري ، وحركة الرجل القصير القلقة من خلفي ، وتوقعي وجود شخص او اشخاص حولي ممن يبحثون عني ، وتمخط الرجل عن يميني ، ثم مقعدي المنحني المتكسر كانما سيهبط بي نحو الارض في كل لحظة ، كل ذلك جعل المدة التي عشتها في هذا المكان كافية تماماً ، والعتمة والانفاس الحارة والصمت والتوقع ... جعلت مغادرتي لهذا المكان حاجة ضرورية وجدية للغاية .

***

فلما خرجت اهرول قبل ان تفرز السينما جمهورها ، كانت الطرق قد ازدادت اظلاماً ، والناس يمشون في حذر فرادى بجوار الحوائط كانما سيلتقون بفاجع عند نهاية الطريق ، او هم يتدحرجون ، على حافة الارصفة تماماً ، كانما يعدون خطواتهم . وقد وجدتني اسير خلف رجل اعرج ، وانا اعد خطواتي ايضاً ، كانما اقيس بها الطريق ، وكان الاعرج يهرول وقد جذبني خلفه وفي دائرته ، بحيث حرصت ـ وبغير ان أحرص ـ على ان ابقي المسافة بيننا بلا زيادة ولا نقصان ، فاضطررت ان اهرول مثله ، ولما تنبهت الى ذلك ، اشعت الاضطراب عامداً في سيري ، واسرعت قليلا في خطوي ، فقد خشيت ان يحسبني الرجل اني اتبعه ، وما كنت احب ان اعرضه لمثل هذا الاحساس المحير الخانق ، فعبرته ومضيت اسير امامه حتى اثبت له حسن نيتي ، وأن الامر كان مجرد صدفة خالصة وليس ثمة خطة مبيتة على الاطلاق . وهكذا رضيت لحظة عن نفسي لاني قد اكون ازحت عنه احساساً لا شك انه لازمه لحظة ، فها انا الآن اسير امامه، وها هو ذا يخب ورائي مرتفعاً ومنخفضاً باستمرار ، وها هي ذي المسافة بيننا تبتعد حتى لنكاد نفترق .

وكانت اللفافة ما تزال في يدي ، وقد ضمرت وتهلهل بعض ورقها لقبضتي المتشبثة بها ، الا انها اصبحت مبعثاً حقيقياً للريبة والخطر ، فان احداً لا يمكن ان يدرك ابداً ـ وعلى وجه يقيني ـ ما بداخلها . فهي تثير للسائرين معي شتى الظنون ، حتى لقد فكرت اكثر من مرة ان اتخلى عنها والقي بها في اقرب زاوية . الا ان ذلك كان اكثر خطراً بالنسبة لي : لئلا تستحيل ريبة العابر الى يقين، ويدرك ان شيئاً خطراً وفظيعاً حقاً بها، مما يسبب لي مضايقات لا نهاية لها . وكنت اكافح كفاحاً هائلا حتى اقتنع اخيراً ـ لحظات معدودات ـ ان احداً لا يهتم بما في يدي. وهكذا كنت بين شعورين متناقضين يتبادلانني الواحد بعد الآخر ، كانهما يدان متوحشتان تلطماني على وجهي بالتناوب . فكنت ارى الناس ينظرون ـ ولا ينظرون ـ الى اللفافة .

فلما انزلقت في شوارع اكثر اظلاماً ، كنت اسمع بين حين وآخر قهقهات وهمسات تنبعث من زوايا ومنحنيات مجهولة . وما كنت لاعرف ما اذا كان من مهمتهم ان يتعقبوا افراداً معينين في هذه اللحظة من الليل ، او هم يبحثون عن وسائل للفرار من آخرين . وكنت اخشى دائماً ان يصلهم وقع اقدامي فيحسبوني سافاجئهم لاستجوبهم ، فافسد عليهم ـ وبمجرد هذا الشك الذي يصيبهم ـ لحظة من حياتهم . لهذا كنت اتعمد ان اضرب بقدمي الارض ، وبصوت واضح مسموع ، حتى اعطيهم المهلة الكافية لتدبير امورهم .

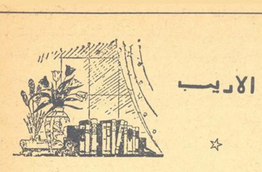
ولكن ما ان بدا لي احدب متآكل الوجه، يدخن سيجاراً على مهل وبطء ، عند بدء الطريق المفضي الى الميدان التالي، حتى وجدتني انكمش واسرع واخفف من وقع قدمي ، حتى لقد نظر الي في ارتياب ، وصعد بصره نحوي ، مما زاد شكي انه قد يكون في اثري او في اثر آخرين . فها هو ذا شخص لا يخاف وقع اقدام في الليل ، وفي مثل هذه المدينة المتسعة الكئيبة ، ويدخن سيجاره بهدوء، وينظر الي فاحصاً ، حتى اذا ما استقر بصره على اللفافة احسست انني احمل في يدي خطيئة ملموسة

وحقيقية ، يستطيع ـ اذا شاء ـ ان يدينني بها . وهكذا عشت ثلاثين ثانية فقط شخصاً يقتفي الناس ، ثم سرعان ما اصبحت موضوع ذلك الاقتفاء .

وكان علي ان اجتاز ميدانا صغيراً قبل ان اصل الى الطريق النهائي . فسلكت ناحية منه كانت قد نصبت فيها مراجيح قلائل متفرقة ومهجورة غمرها صمت ووجوم . ورأيت على ضوء المصابيح الخافت ظلي الطويل ينعكس على ارض الميدان المغطى بالحشائش الجافة والتراب ، حتى يصل الى ما وراء المراجيح . وثمة عابرون قلائل يتهامسون ويتلفتون ، والاشجار الساكنة تلقي ظلالها كانما في تراخ وملل . ولم يكن امامي ان اختار ، فقد كانت الظلمة هي ملجأي الوحيد ، الظلمة التي يغور في نهايتها منزلي ، قابعاً ومستكيناً للفجيعة التالية . فمضيت اتدحرج واصوات القوم تتقهقر من اذني شيئاً فشيئاً امام نباح الكلاب المخشوشن الجاف وهو يرتفع ويتداح ، وكان هذا علامة على اقترابي من منزلي . فلما سمعت صوت الكلب الاسود الضخم ، على السطح التالي لمنزلي ، ينطلق أجوف منخوباً في الظلمة ، ادركت انني وجهاً لوجه امام باب بيتي . وترامى الى سمعي وقع اقدام بعيدة ، فلما تلفت لمحت ما يشبه الظل المتكور البعيد ، ما ان رآني حتى انحنى نحو الارض كانما يبحث عن شيء مجهول ، فتفرست ابحث لعل احداً يتصنع التنزه حول جدران بيتي ، او لعل الظل ان يقترب متصنعاً السؤال عن طريق اجهله .

وكنت اعلم ان خادمتي « نور » لا بد وان تكون قد نامت منذ زمن بعيد ، فها هي ذي قد اطفأت انوار المنزل جميعه ، وهي ما تعودت مني المجيء في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ، ولولا مرضها لكانت قد ذهبت واشترت الليفة بنفسها . وكنت احب الا ازعجها ، وكنت ادرك اني سازعجها ، وذلك عند محاولتي فتح الباب في مثل هذه الساعة من الليل ، فهي ـ مثلي ـ رقيقة حساسة ، تتوجس خيفة من كل طارق في الليل ، فهي لن تسمع الحركة الحذرة للمفتاح في الباب حتى تهب مذعورة من نومها ، وتزدحم رأسها بخليط رائع ـ انا آلفه تماما ـ من الاوهام والحقائق ، وستكون الحركة الخافتة الحذرة هي اقرب الى حركة الغريب المتلصص منها الى حركة صاحب البيت المطمئن ، وستعاني لحظة انتظار واستسلام هائلة كالقضاء . لهذا بدا لي ان ادخل البيت في حركة مسموعة مطمئنة . غير ان هذا ايضاً لم يكن اقل خطراً من المحاولة السابقة . وفكرت اخيراً الا ادخل

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادى :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا

او ٦٠ دولار كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ ـ ٩٢ / المنزل : ٣٧ ـ ٤٨ } Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37 }

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الأديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

على الاطلاق وانه من الخير لي ولها ان افضل البقاء خارج بيتي ، غير ان هذا التفكير لم يستمر اكثر من عشرين ثانية . فقد كانت هناك قلقلات بطيئة خفية تشرئب في الليل حولي ، لا يخيفها نباح الكلب الاسود الضخم وانقياد بقية الكلاب له . فلا انا اعرف مكانها بوضوح ولا هي تختفي تحت ستار هذا العواء المتصل المستديم . وكان نباح الكلب قد ارتفع واتجه نحوي – ومعه جوقة الكلاب الاخرى – متصلا ومؤلما عن ذي قبل ، بحيث لا بد وان يثير ريبة السكان في وجود غريب يتلصص قريباً من بيوتهم . وهكذا اتضح لي ان محاولة البقاء خارجاً ان هي الا محاولة خيالية ليس من سبيل الى تنفيذها . لهذا جمعت اطراف شجاعتي وأولجت مفتاحي في الباب فانفتح على الاثر ، ودخلت وانا اتلمس الضوء بيد ، واقفل الباب بيد ، في بطء وانصات .

وانصت ... فسمعت مواء قطتي مطوطاً ومبحوحاً كانه نواح . فقلت لا شك انها جوعانة ، وان خادمتي المريضة السمراء ذات العين الواحدة قد نامت بغير ان تطعمها لما ألم بها من تعب هذا النهار .

فما ان أضأت النور حتى وضعت اللفافة على المنضدة ، واسرعت انزع الورق ، ورقة ورقة ، بغير ان اصل الا الى فراغ ! فلا شك ان الليفة – واأسفاه – قد سقطت في اثناء هذه المطاردة المضنية . وفكرت أين يمكن ان تكون قد سقطت . في السيارة ام في السينما ام في الطريق حين نظر الاحدب في ريبة نحوي . ولم استطع ان اتذكر شيئاً ولم استطع ان افهم شيئاً ، وما كان يمكن لي ان اتذكر او ان افهم . لقد كنت احس بكتلتها داخل الورق حين اشتريتها وكذلك حين وقفتي امام الواجهة الزجاجية . لكن متى بدات افقد الاحساس بكتلتها ؟ ليس ثمة سبيل الى معرفة ذلك ابداً ، وسيظل هذا لغزاً مجهول الابد .

لقد كنت أمني النفس بحمام رائع هذه الليلة ، حتى اتخلص من هذا العرق الذي يتسرب متلكئاً فوق جسدي ، ويزحف في خطوط لزجة متعرجة من منابع تنضح باستمرار وبلا انقطاع ؟ وحتى أنام – لاول مرة منذ ليال – في سعادة عميقة . فأنا شخص عندما ينسكب فوقه الماء المتدفق احس إحساسات عظيمة رائعة ، واقوم بمشروعات ضخمة وحقيقية ، وتتفتح امامي كل معاني الحياة المقدسة ، واتشبث بالارض وبالانسان ، واحس انني كائن عظيم وسعيد . فهنا ، وفي الحمام ، ادع الماء ينهمر فوقي حتى يتشربه شعري وعيناي وكل مسام بدني ، ويظل يعلو في داخلي احساس سماوي يرتفع شيئاً فشيئاً وانا اصيح واغني وأقفز ، حتى اصل الى قمة فيها تقترن العظمة بالسعادة كانما لاول مرة ولآخر مرة . وكانت هذه هي حاجتي الحقيقية الى الليفة في حياتي .

فالقيت نظرة جد آسفة على هذا الورق الكثير الفارغ الراقد فوق المنضدة بلا منفعة ، وعلى هذا الجهد الضائع الذي بذلته مخلصاً طوال هذه الرحلة الشاقة المضنية . وادركت انني امام قوى تسلبني كل شيء ، وتفقدني في عراكي معها كل شيء ، حتى الليفة التي كنت احلم بما ستنعم به علي من حمام رائع وسعادة مطهرة . وادركت انني في معركة غير شريفة ، ولكن علي الا ايأس ، وألا القي اسلحتي ابداً ، وان استعد للدفاع عن نفسي ، وان ادرك الخطر المقبل .

وكان مواء القطة ما يزال ينوح في جنبات البيت ، ولم اكن اعرف اين يمكن ان يكون طعامها ، فذهبت نحو « نور » علها تكون مستلقية مستيقظة متعبة ، لكن وجدتها نائمة ، نوماً عميقاً وبلا قلق ، فلما اصبحت اكثر اقتراباً منها لأتأكد من ذلك ، لفحتني انفاسها المنتظمة على وجهها ، وثمة عرق كريه – اكثر كرهاً من عرقي – ينبعث من شعرها وما بين ثدييها ، فابتعدت عنها . وكانت ساقها عارية ، فبدا لي ان المسها من هنا لأتعرف على حرارتها ، ولم يكن ثمة ما يقلق ، فوضعت عليها الغطاء . ثم اتجهت الى المطبخ ابحث للقطة عن طعام .

وانحدرت نحو المطبخ اتلمس الضوء ، فلما أضأته لمحت على المنضدة طبقاً فيه ما يشبه الجبن ، وخطوطاً هندسية من النمل تذهب وتجيء منها واليها ، فاشعت الاضطراب في هذه الخطوط بنفخة من فمي حتى ابعدتها عن الطبق قليلا ، ثم قلت : هاهوذا قد وجدت لك ايتها القطة المسكينة ما تبلغين به فتواصلين الطعام صغارك حتى الصباح . غير أني لاحظت ان قطعة الجبن تموج بالدود : خلالها وحوالها ، وينتثر منها ويقفز في اتجاهات مختلفة لا معقولة . وحاولت عبثاً ان اغري بها القطة ، فلا شك انها تعرف مكانها وتأنف الاقتراب منها ، وها هي ذي تعاود المواء وتتشمم زوايا المطبخ ، واثداؤها المدلاة تكاد تلامس الارض وهناك ذلك الكلب الاسود الضخم يعلو نباحه ويسرع ويشتد كأنما هناك من يزمعون اقتحام بيتي في كل لحظة ، او كأنما هناك آلاف المارة الغرباء يسعون ذهاباً وجيئة في حارتنا المتواضعة ، هذه الليلة .

وسمعت طرقاً ناعماً على الباب، كانه وقع حوافر الدواب في ليالي الحصاد، او كانه تساقط المطر في اوائل الخريف، او كانه تكسر احطاب جافة تحت ارجل حيوان. ووجف قلبي، فقد كان هذا هو ما توقعته تماماً. ثم عاد الطرق من جديد، شديداً ومتعالياً ومغموراً في الظلام، كانه احجار يلقيها اطفال على شجرة النخيل، او كانه اظافر كلب تبحث عن عظمة بين التراب، او كانه الريح تصفق حطام منزل خرب. وعاد الطرق يشتد حتى ارتجت له جدران المنزل وتململت «نور» في فراشها. فادركت انه يجب ان لا اتأخر اكثر من ذلك وان الطارق يريدني جدياً ان اسرع اليه، فليس علي الا ان افتح الباب، ثم اكون على اهبة الاستعداد.

فلما فتحت الباب وجدتني امام ذلك الاحدب البشع الذي عبرته في الطريق منذ لحظات، ثم برز وراءه من الظلمة شخص ثان انيق الهندام رائع الوجه حتى لقد حسبته في اول الامر حسناء يصطحبها الاحدب، وكانا يرتديان ثياب السهرة السوداء. ودخلا بلا استئذان، وانحرفا ناحية المخدع فيما - كما يبدو - يعرفان الطريق. وكان الطرق قد ازعج «نور»، فرأيتها تفتح عينيها، الا انها ما لمحت الاحدب بوجهه المتآكل حتى اغلقت اجفانها من جديد وشدت على وجهها الغطاء بحيث ظهرت اصابع قدميها.

فلما حاولت الدخول، وقف الرشيق الى جانبي يمنعني ويقول لي موضحاً ان تحقيقاً سيجري معي وبشأني هذه الليلة، وهما يبحثان الآن عن ادلة الاتهام.

واتجه الاحدب نحو الدولاب يقلب فيه ملابسي، ثم اتجه نحو صندوق في زاوية سفلية منه، قد علاه التراب وكنت قد نسيت ماذا وضعت فيه. فلما اقترب منه واخذ ينفض عنه التراب، تذكرت ما به، وعراني وجوم ثم ضحكة خافتة، انبني عليها الرشيق بنظرة منه، ورأيته يفض الرسائل القديمة التي جمعتها ايام كان لي حب وايام كانت لي صداقات، ثم مضى يقرؤها واحدة واحدة، وكنت قد حرصت ان اضعها بعيداً - حتى عن نفسي - في مثل هذا المكان، وحتى كدت أنسى امرها تماماً، ولو اني تذكرتها اخيراً لاحرقتها فيما احرقت من صور وذكريات ما كنت لاطمئن الى عدم وصول كائن اليها. وهكذا قدر لي ان ارى رجلا احدب متآكل الوجه يقرأ قبيل منتصف الليل، اعز ذكرياتي ويفض الاسرار التي تكون مقومات حياتي والتي زخر بها شبابي، والتي حرصت على ان تستمر قداستها من علاقتها الصامتة القائمة بينها وبين نفسي. وكان الاحدب يضحك حيناً في خبث، ثم يبدو ان نباح الكلب المستمر المتصل يضايقه، فتضيق عيناه وينظر نحوي ثم يعاود القراءة من جديد. وكان عجزي هو اني لم استطع ان اشاركه ولا ان افهم التيارات الخفية التي تعتمل فيه وهو يقرأ رسالاتي العزيزة القديمة، فهو موظف مأجور - وهذه ليست الطريقة المثلى لفهمه - وعليه ان يؤدي واجبه ضدي، وان يتجه نحو نور - بعدما ادرك عبث قراءاته - وان يتامل فيها قليلا، وخشيت ان تصاب المسكينة بسوء، فقد ازاح الغطاء عن ساقها البضة العارية مما يوحي بان لها وجهاً رائع الجمال، ولا ريب ان المسكينة كانت تقشعر الآن، فقد انحنى نحوها - حتى اصبح منبعجاً كنصف الكرة - كانما ليقبلها، وادركت اي فزع يتملكها وانا ما استطيع انقاذها، فعلى قيد ذراع مني يقف الشاب الانيق ومعه ما يشبه مسدساً في يده، وانا حريص على حياتي، بل انا حريص الا اصاب بجرح ولا بالم سخيف - كأن يكون لكمة مثلا. ولكن تساءلت في هذه اللحظة ما اذا لم يكن حرصي على حياتي بهذه الصورة يفقدنيها. وكان ذلك عندما انحنى الاحدب يقبل «نور» ويحتضنها، قبلة حقيقية لا شك فيها هذه المرة، رغم الرائحة الكريهة النفاذة التي تنبعث من شعرها وما بين ثدييها، ورغم ما رآه بوضوح من جحوظ احدى العينين جحوظاً بشعاً مشوهاً تفقده كل شهية نحوها.

فلما انتهى من هذه المداعبات المريبة، اخذ يعدل من ياقته البيضاء، ثم اخرج ما يشبه المذكرة ودون ما يشبه الملاحظات، ثم مضى يقلب تحت السرير، ورأيته يخرج نصلا ذا حدين ويغوص به في الوسادة حيث كانت المريضة نور راقدة، ومضى يعبث بقطع القطن المتلبدة وينثرها امام عينيه ثم ينفخ فيها وهو يتامل محاولاتها الفاشلة للصعود، ثم يبعثر بقيتها على الارض. فلما ابديت له شيئاً من اشمئزازي القى ببعضه في وجهي.

وخرج من المخدع وانا اتبعه مع حارسي الانيق، حتى

وصلت الى باب المطبخ ، فمنعت كذلك من الدخول ، واكتفيت بان اقف بحيث استطيع ان ارقب كل شيء ، فلقد ذهب الاحدب يقلب بطرف سبابته في القطعة التي كانت جبناً واستحالت – منذ الامس على وجه التقريب – الى مجموعة من دود ، وكان النمل قد عاد اليها من جديد . ثم مضى يقلب في القمامة ، وبها فضلات من طعام وبقايا خبز جافة واوراق متسخة يحاول ان يقرأهـا بعينيه الـكليلتين ، ولاحظ القطة وهي تموء فنظر اليها بارتياب في اول الامر والى اثدائها المدلاة ، وتتبعها وهي تتشمم زوايا المطبخ ، ثم ما لبث ان انصرف عنها وقام يقيس عرض المنضدة ، وهو دائب يدون ملاحظاته الهامة الدقيقة ، ويرفع يده اليمنى نحو اذنه اليمنى كأنما يطرد بهـا الذباب كلما تنبه الى عواء الـكلب المتصل في الظلمة الخارجية ، ثم خرج من المطبخ ليعد نوافـذ المنزل واحدة واحدة ، وابوابه ، ثم بدا لي انه يعد قطع البلاط في كل غرفة ، ولو أني ما تأكدت من ذلك ابداً ، فقد اغفلوا ذكر ذلك في التحقيق . وكان هذا هو كل مـا يحتويه منزلي : غرفة للنوم ومطبخ للطعام وردهة فيما بينهما . فلمـا اوشكا على الخروج لمحا الاوراق الفارغة منثورة وممزقة ، فوق المنضـدة بالردهة ، وكانت لا تزال بها بقـايا العرق من آثار قبضتي التي تشبثت بها طوال هذه الليلة ، وقد اثارت هذه الاوراق اهتمامهما البالغ ، فادناها الاحدب من انفه يتشممها ثم ادناهـا الى انف زميله يتشممها معه ، فلما لم يقنعا بذلك اخذا يقرآنها بعناية ، وما لبثا ان وضعاها في ظرف كبير ونظيف . ثم رأيتهما ينحنيان ويتهامسان ، كل منهما يهمس بدوره كانما ثمة مؤلف وضع لهما حواراً وهما يشيران اليها وضعاه بالظرف ، وقد عددت المرات التي تـكلم فيها كل منهما فوجدتها اثنتي عشرة مرة . ثم دون في مذكراته ما يشبه الملخص العام وما يشبه الرأي النهـائي في الامر . وانتزعاني من بيتي ، ثم اقتاداني الى الخـارج حيث ظلمة الظلمات .

***

وكانت غرفة التحقيق – بعكس مـا كانت السينما – مرتفعة الباب ، شديدة النظافة ، قوية الاضاءة ، خالية صامتة كانما تنتظرني . وقد دفعني الرجلان بغير ان يدخلاء ولم اجد مقعداً واحداً فاضطررت ان اجلس القرفصاء على الارض متأملا ظلي المطمئن الى جانبي . وجعلت انتظر .. كان ثمة منضدة مستطيلة ومرتفعة ونظيفة جداً امامي تماماً وليس عليها شيء على الاطلاق ، ومن خلفها ستـارة مزركشة يغلب عليها اللون الرمادي كالتي يضعونها في بعض الهياكل ، ثم اربع زوايا وسقف وارض خشبية ، كلها نظيفة ومضاءة ومعنى بها عنـاية فائقة ومضيت انتظر وارقب ما عسى ان تـكون الحركة التالية .

وسمعت صوتاً يناديني ، فاستدرت ابحث عمن يكون مصدره لـكنه كان يبدو آتياً من خلف جدار ، او من خلف الستارة على وجه التحديد . وهـكذا ادركت أني لن ارى وجه محققي ، ولـكني عرفته رغم هذا الجدار المصطنع القائم بيننا ، فلا شك انه كان صوت ذلك الشاب الرشيق الذي كان يحرسني ، بينما بدا لي ان الاحدب يقوم الان بدور ثانوي هو دور الكاتب ، فقد سمعت حفيف القلم اكثر من مرة وهو يحاول اللحاق بي حتى لا يفوته شيء مما اجيب وكان واضحاً ان المحقق يعرف كل شيء عن حياتي ، فقد مضى يلقي اسئلة كثيرة وسريعة ومتلاحقة ، على ان اجيب عنها جميعاً بلا تردد ولا غموض . وقد بدا لي اكثر من مرة ان أفجأه بمعرفتي له ، او على الاقل ان الحد – فيما بيني وبين نفسي – بسلطته ، وانتزع من قلبي الايمان بقدرته التامة على اتهامي وعقابي ، وبهذا وحده استطيع ان اضع بيني وبينه حجاباً حقيقياً وكثيفاً لا يستطيع ان ينفذ من خلاله الى ما يجد من اسرار في حياتي . كان ضعفي امامه وخوفي منه وايمـاني بقدرته وحرارة الغرفة المعذبة هي التي تساعده على الحصول مني على كل ما يريد . سألني عن اسمي وعن وظيفتي وعن اقربائي ، وسمعت الاحدب يكتب جميع الاجابات في سرعة فائقة ، ثم عاد يسألني عن سبب اختياري لهذا المسكن في هذه الحارة ، وعن سبب وجود هذه الخادم بهذا الاسم في منزلي وما اذا كان لي بها علاقة ، ثم عاد يسألني : ما الذي كنت تحمله معك مساء اليوم؟ واجبته : ليفة مما يغتسل بها الناس . فقهقه قهقهة مدوية ، وسألني اين اختفت إذن ؟ اجبته : لقد ضاعت مني اثناء الطريق . قال : اذن فها انت ذا تعترف . ثم زاد ضحكه رعبا ودويا ، كما يبدو ان الاحدب رمى قلمه واستلقى على قفاه ليشترك معه في الضحك . ثم سألني عن معنى الكلام الذي كان مكتوبا فوق ورق الجرائد وعن لون مخدعي الازرق ، ولماذا اخذت سيـارة الاجرة ثم هربت منها ولماذا شاهدت ذلك الفيلم بالذات وجلست بين السيدة والرجلين ، ولماذا انحنيت على ارض الطريق ، وماذا التقطت اذ ذاك – وهذا امر لا اذكر ابداً أني فعلته هذا المساء ، الا اني لم استطع ان انـكر احتمال ذلك ، بل وتصديقه ، فقد كان يبدو

انه يعرف اشياء اجهلها انا عن نفسي، وهو لا يريد حقائق فهو يعرفها لكنه كان يريد ان يحصل على اعتراف، وهكذا بت على استعداد لان أؤيده على اقتراف اعمال بمجرد ذكرها لي ... فمضى يسألني عن القط الذي كان يموء، والجبن والدود والكلب الذي يملكه جارنا والخطوات التي كنت اقيس بها الطريق، ولماذا لا أدخن ولماذا لم استطع الزواج ولماذا لا استطيع الاختلاف الا الى مقهى واحد ... كان يطلب مني تفسيراً لأشياء لا اجد لها تفسيراً، وكان هذا عجزاً حقيقياً مني، فقد توهمت اني هيأت نفسي بكل ما املك من دفاع، لكن سرعان ما ثبت لي خطأي العظيم، وأني مجرد اعزل من كل شيء امام هذا السيل المنهمر من الاسئلة الدقيقة التي تخصني تماماً والتي كان يجب ان اعرف اجاباتها جميعاً. كان المحقق يضعني موضع المسؤولية من كل ذلك، واني لمسئول عنه جميعاً.

وحين انقطع حفيف القلم ادركت ان التحقيق قد انتهى، وعلي ان اخلي المكان. فقمت اتجه نحو حارسي الذي ينتظرني في الظلمة الخارجية، متذكراً كيف كنت في جبن اتحايل على التهرب من الاجابة الصحيحة، لانه كان يبدو لي انه لم يكن ثمة اجابة لكثير من هذه الاسئلة. لهذا ادركت اني قصرت تقصيراً شديداً، تقصيراً يكاد يدنيني من العدم. في استطاعة هذا المحقق ان يلصق التهمة بي، ولهذا اعددت عن نفسي هذا الدفاع.

***

فقرأ

سيجلسون لمحاكمتي، وسيلقون علي التهمة تلو التهمة، ولن ادعهم يستمرون. سادافع عن نفسي، وساجعلهم يدركون ان شيئاً مما فعلوه لم يكن ليفجأني. ساخبرهم كيف نشأ لدي ذلك شيئاً فشيئاً وانا اعبر طرقات هذه المدينة المزدحمة في طريقي الى عملي صباحاً وفي طريقي الى مقهاي مساء، وفي طريقي الى منزلي صباحاً ومساء. ساقول لهم ان زحمة الطريق كانت تضايقني، وحتى المقهى الذي اخترته لان به شيئاً من هدأة، كان احياناً ما يزدحم في بعض الاماسي، فينعكس ضجيج الناس ووهج النور، في عيونهم وفي رائحة دخانهم، فيصيبني انقباض ويأس شديدان. لقد كانت المسالة في اول امرها مجرد رغبة في الهدوء، ثم اصبح شبه إحساس بالخوف، ثم بلزوجة في اجساد الناس وكلماتهم ونظراتهم. واخيراً ادركت وانا اعبر شوارع هذه المدينة ان هناك من يتبعني وسط الزحمة، وكان هذا أبعد مما وصلت اليه مخاوفي. فانا رجل مسالم لا اصدقاء لي ولا زوج

ولا اطفال، فلماذا يتعقبني شخص او اشخاص وانا سائر في هذه الزحمة الكريهة؟ وهكذا نشأت لدي رغبتي المستمرة في الانكماش والتضاؤل. حتى اصبحت كأني فار في مصيدة عليه ان يتجه إن يميناً وان شمالا حتى يدمي وجهه وينهك عبثاً قواه.

لقد كان كل أملي في الحياة هو ان أعيش في هدوء، بعيداً عن كل صخب وكل ضجيج، ملتصقاً بعمل هادىء لا مجال فيه للمغامرة والمقامرة: وظيفة ذات أجر ثابت، حيث تتبلور كل آمالي في أن يزداد اجري جنيهاً او جنيهين كل بضع سنين. وحاولت ان اختار مسكناً هادئاً وخادماً مطيعة في منعزل عن الناس، ومضيت ادبر شئون حياتي باقل قلق مستطاع، لكنها قد ذهبت كل محاولاتي ادراج الرياح، ورغماً عن كل هذه المحاولات فقد وجدت اخيراً من يتتبعني في شوارع المدينة وازقتها، ومن يعرف كل اسرار حياتي، ومن يحاول ان يسد علي كل منافذ الخلاص ويتدخل فيما حرصت ان أخفيه عن كل انسان. وحتى وضعت اخيراً في مكان مظلم تذهب فيه الخفافيش وتجيء طولا وعرضا وصعوداً وهبوطاً.

ساعلن على الجميع اني ما اردت يوماً ان اكون بطلا ولا رجلا مشهوراً، وسيكون شهودي على ذلك هم اولئك الذين شاهدوني لآخر مرة هذا المساء، ساستشهد بالبائع المتآكل الانف، وبالحسناء والشاب الذي يحادثها كانما في حذر، وبالسائق المذعور والمصاب الذي وطأته العجلات، وبقاطعي التذاكر والسيدة التي تحك جسدها في كآبة الى جانبي، وبالذين كانوا يتهامسون وبالذين كانوا يتلفتون ويتآمرون. ثم استشهد بخادمتي نور وبالقط الذي يموء وبالكلب الذي ينبح وبلون غرفتي الازرق فكل هؤلاء يدركون ان كل ما اردته هو ان اكون كائناً مطمئناً – ولا اقول سعيداً – ولقد كانت طريقتي اليوم الى ذلك ليفة احك بها جسدي المتلبد، وساحلف بنوافذ بيتي السبع – التي دون عددها الاحدب – وبحق البطل الذي انتصر على الشاشة، اني حين اشتريت هذه الليفة ما كنت ادرك ما يترتب على ذلك من خطورة بالغة ومعركة شاقة مضنية ساشهد هؤلاء امام الناس مكرراً اني ما اردت ان اصبح عظيما ولا زعيماً ولا غنياً، بل مواطناً تطمئن اقدامه للخطوة التالية. وانا اعلم ان هذا هو موطن الضعف الوحيد في دفاعي، ولكن سأدافع عن نفسي حتى نهاية النهاية.

القاهرة

يوسف الشاروني

غريب في حانة

الى عبد الرحمن الخميسي الشاعر الذي تجمعني واياه ذكريات الصبى

•

في ليلة كافرة ترتجف في ضميرها الأسود وساوس الريح.. ألقت عاصفة تائهة بشاعر تائه.. في حانة تربض على قمة المنحنى البعيد.. وكانت الخمر قد بدأت تهدر هديرها في عيون القوم وبين شفاههم.. ودخان التبغ يمتزج بالأنفاس المخمورة امتزاج الوم بالوم.. ثم يتصاعد بها متلويا للاعالي السوداء كأنه ابتهالات خرساء من النار المقدسة التي في الأحشاء كان هذا الشاعر غريبا وكان يبحث عن حقيقة ضالة في سوق الأوهام فسأل الساقي: أجاء هنا روح الليل؟

•

من تُرى قد طرق الحانة سهوان الخطى ؟؟
عمره يهتز في عينيه دمعاً لا يرى
جاء يبغي في رحاب الوهم للروح هدى
أغريب.. ضل في التيه.. مع الليل الغريب ؟ ؟

من ترى قد طرق الحانة كالحلم الشهيد ؟
بغتته صيحة النور فولى في شرود
ناثراً فوق جفون القبر أوهام الخلود
إنه شاب.. وفي فوديه انباء المشيب!

قال.. يا كاهن هذا الدير.. جئنا متعبينا
ما لنا ذنب سوى أنا جعلنا الحب دينا
هل بقلب الليل غفران لمن بات طعينا
يحرس الجرح.. فهل جرح الهوى بعض الذنوب؟

قال.. يا كاهن.. هبني الدف... إني في صقيع
سوف احكي لك سري باعترافات دموعي
يا نبي الوهم القِ الآن ظلا من ربيعي
ثم دعني وشبابي.. قبلما يبكي غروبي.

أيها الكاهن قالوا الليل ضيف ههنا
هات كأساً.. لأرى سراً له وسط الطلا
ربما الكأس له عين.. ومنها قد رنا..
.. والطلا من عينه ينساب كالدمع الصبيب.

لم اجد في الكأس الا كرمة تبكي صباها
وندامى ينهلون الخمر.. والخمر دماها!.
وتهاويل سعادات.. تغني في رؤاها
وغروبا ذوبته وقدة الجرح الخضيب..

ايها الكاهن لا كأسي.. ولا خمري هنا
هذه الكأس رنت نحوي.. فهل قلبي رنا ؟!
إن هذي الكأس تسقيني شقائي دائما
ما روتني.. إنما يا ليل قد تروي ندوبي..

ضج حولي الناس يا كاهن في ركب الاماني
هل ترى من اطلق الفرحة فيهم.. قد طواني!؟
باركتهم عيني الكلمى بدمع من جناني..
ثم ساروا.. فانطوى جرحي على جرح المغيب..

هذه روحي وراء الركب طيراً من صدى
يسمع الالحان في الارض فيبكي في الفضا
ليته كان مع الناس على الارض شدا
لا مع السحب.. شريد الرجع.. في افق رهيب.

ألقني يا موكب الريح على الارض.. ودعني
طالت الغربة بين العيش في داري.. وبيني
يسبح الطائر كي يحنو الى عش التمني
آه.. دعني ارقد الان على صدر حبيبي.

قد روى الحب.. فاصغوا في خشوع يا رواه
نهد هذا الكرم كم اشتاق ان احسو جناه
ولأكن طفلا.. فهل للحب من عقل نهاه ؟؟
إنه حر الشذا ينساب في الوادي الطروب..

اقبلي كالفجر عريان السنا يأبى القيودا
عانقيني.. وابعثي في الجسم إعصاراً مريدا
إنني الشعلة قد نادت: تعالي لي وقودا
نحن نحيي بعضنا بعضا.. لنفنى في الشبوب..

آه يا غيبوبة فيها خيالي قد صحا
انفضي سوطك في حسي يغني صيدحا
ها هنا يبصر جسمي في الدجى نار الضحى
ها هنا تهذي بجسمي قصة النار الصخوب..

لحظة يرتعش العمر بها.. حتى الليالي..
وقدة تصهر هذا الجسم ناراً لا تبالي..
صرخة محمومة الاصداء تعوي في خيالي..
رشفة تندى على القلب.. ولكن باللهيب!

ايها الكاهن قد اصبحت عن سري مبينا
ها أنا اعزف فوق القيد للدنيا لحونا
وليبرِّه عقلي شكوكاً.. قد رأى جسمي اليقينا
عجبا من كان دائي.. إنه الان طبيبي!

هذه فلسفة الجسم لمن يصغي إليه..
إنه القيثار... والروح عزيف من يديه..
وهو لو يفني.. فهل يبقى صدى في شفتيه ؟؟
أشعل الألحان يا عودي.. سنمضي عن قريب..

مصر ـ شبين الكوم

محمد الجبار



المستر ليوميللر* وزملاؤه قد بلغوا في رحلتهم الاستكشافية غابة البرازيل الشاسعة وأخذوا يجوسون خلالها ، فرأوا على الحافة الاخرى لجدول صادفوه اربعة من الهنود الامريكيين العرايا ، وقد تدلت شعورهم ودهنت ابدانهم بصبغة زرقاء قاتمة !

فرفع احد البيض زملاء المستر ميللر ملء يديه عقوداً من الخرز الاحمر ولوح بها نحو اولئك الهنود علامة على المودة والامان ... ولكنهم تراجعوا ... ولم ييأس المستر ميللر من استمالتهم ، فجهد وزملاؤه في إقناعهم بانهم رسل مودة وسلام معتمدين على منوع الاشارات في التعبير عن ميولهم الطيبة نحوهم واخيراً اطمأن الهنود بعض الاطمئنان فاشاروا بان ينزع المتقدم من البيض ملابسه ويدنو منهم ففعل ذلك ... ولكنه لما اقترب منهم خطفوا الهدايا من بين يديه ثم دفعوا به الى حيث كان وفروا ثم عادوا هيابين مرة اخرى . وحينئذ نسق المستر ميللر وصحبه كومة من الخرز والمدى والفؤوس ونحوها ووقفوا على بعد خمسة عشر قدماً منها او نحو ذلك .

فتامل الهنود هذه الكومة الجذابة ، وبعد لأي تقدموا نحوها ... وحينئذ وقف رئيسهم موقفاً غريباً مريباً ، محاكياً من يحمل بندقية ثم يطلق مقذوفها وصاح : « بونج » ! ممثلا بذلك صوت اطلاق النار ، ثم اومى على ركبتيه مولولا متعجباً !

فتعجب ميللر وصحبه من هذا المشهد ، وجرى بين ميللر واحد زملائه الحوار الآتي :

ميللر – ترى ما هو قصده من هذا التمثيل ؟

الزميل – قصده ؟ ! وهل من موجب للتساؤل وهو يبدي علامات التهديد لنا ؟ !

ميللر – اي تهديد يا صاحبي ؟ هذا رجل ساذج بلا ريب !

الزميل – ساذج يا ليو ؟! اراهنك على ان هذا التهديد الذي لا ريب فيه سيتبعه وفود هنود آخرين مسلحين وسيقضى علينا ان لم ننسحب فوراً .

ميللر – عجيب ان ترى هذا الراي !

الزميل – بل ارى اكثر من ذلك ... ارى ان نهجم على هؤلاء المتوحشين ونشق طريقنا في الغابة ... ارى ان نمضي في خطتنا ، فاتحين هذه الادغال .

ميللر – فاتحين هذه الادغال ؟! لعلك اصبت بمس يا صديقي ؟ انسيت اننا بعثة علمية فحسب ؟! انسيت ان هذه البلاد ليست بلادنا ؟! وحتى ولو كنا بعثة عسكرية ، فكيف يسوغ لنا نحن المسلحين الذين ندعي التمدن ان نهاجم هؤلاء الاعزال ونستولي على اراضيهم ، ثم نباهي باعتدائنا الامم بعد ذلك ؟! انسيت ...

الزميل [مقاطعاً] – ستندم يا ليو ... ستندم حتما على هذا التفلسف الفارغ ... انظر ! انظر ما دمت لا تعبأ بتحذيري ... انظر ! ها هو رئيسهم يكرر هذا التمثيل الشاذ ، بل هذا التهديد الوقح !

ميللر – عجباً ! لا بد ان هؤلاء القوم لديهم رسالة يريدون التعبير عنها ، بل هم فعلا يعبرون عنها ، ولكننا اغبياء جهلاء وان ادعينا الذكاء والمعرفة ... اما الحق فهو امر نسبي عندنا فحسب بدليل اغرائك اياي على مهاجمتهم ! ويا ويل الضعيف من القوي الغاشم !

الزميل – لقد صدق ظني ! تأمل ! ها هم هؤلاء ، اقرانهم قادمون في جمع غفير ، وهم مسلحون بالبنادق كما ترى !

ميللر – هذا غريب ! اني لا ارى شيئاً !

الزميل – لا ترى شيئاً ... وهذه شخوصهم بين الاشجار تزحف علينا واصواتهم تدنو مهددة !

ميللر [متعجباً] شخوصهم واصواتهم ؟! سبحان ربي ! اظلال الاوراق واصوات الطيور اختلطت عليك الى هذه الدرجة يا صديقي

الزميل – عجباً يا ليو ! يبدو انك لن تفيق من غيبوبتك حتى نذبح ذبحاً ! انظر واستمع ! ها هم قادمون عجالى ! انظر ! انظر !

ميللر – لقد جننت والله يا رجل ! وقبلك جن كثيرون امثالهم قبائل وشعوب فزوروا ، وقلبوا الحق باطلا ، واشعلوا الحروب وهم يتغنون بالمدنية والسلام ، ولم يستحوا من تكرار تمثيلية « الذئب والحمل » التي خجل التاريخ نفسه من روايتها عن امة مستضعفة بعد اخرى كانت فريسة المعتدين الذين لا يجيدون غير العدوان والاغتصاب ودموع التماسيح ! وعلى ذلك ...

الزميل [مقاطعاً] – وعلى ذلك سانجو بنفسي امام خزعبلاتك ولكني ساخدمك اولا باطلاق النار في الهواء تحذيراً لاولئك المكتسحين ... وربما اطلقتها على رؤوسهم !

ميللر [محاولا ايقافه عند حده] اياك ! اياك !

اللغز

* للمرجع : « في مجاهل امريكا الجنوبية » تاليف ليو س. ملر « In the Wilds of South America by Les E Miller » الصادر في سنة ١٩١٩ .

دموع !!

في عيني دموع !!

في عيني دموع .. من يكفكفها ؟!!

في قلبي حسرات .. من يهدهدها ؟!

في نفسي آلام .. من يبددها ؟!!

أنا ودهري في حرب لا تعرف الهوادة ، ولا تنتهي الى مهادنة .. فلا دهري يسالم، ولا قلبي يخضع او ينتصر ، وسينتصر ، ولكن .. متى ؟!

***

انا مثقل باوزاري. وقد خدعتني الحياة فحملتني من اثقالها ما يهظ قلبي الشاب !!

..وناء قلبي بآماله ، فتركته يترنح بين الجوانح ، واوصدت مجلسه ..

.. وخرجت للحياة اخدعها عن حقيقتي بابتسامة مرحة تحسبها اطياف السعادة تتخايل على جبيني .

خرجت ابسم للحياة، وابادلها مسراتها.

.. اترنح على انغامها ، فتظنني راقصاً في معبدها !!

.. واهتف باحزاني ، فيضيع هتافي في ضجة الموكب ، فتخالني اتغنى بجمالها!!

لقد ارهقتك مسرات الحياة يا قلبي، اذ لم تكن نابعة من اعماقك ..

وآلمتك مباهجها ، إذ لم تجد فيها شفاء لما تقاسي ..

فغدوت يتيماً في اعراسها، طريداً في اعيادها ، غريباً عن مهرجانها .

فتعال نهرب معاً تحت الضباب والليل اعمى ، والطريق اخرس ..

تعال معي .. نهيم في فجاج الوادي ، تحت غبشة السحر ، والقدر نائم والكون هامد ، والواد متلفع بغلائل السكون راقد في احضان السلام !!

تعال نضرب في فضاء الازل، باحثين عن السعادة ..هاجعة تستجم من عناء يومها ، بعد اذ ارهقتها مطالب الحياة في ساحة الاحياء !!

تعال نفتش عنها تمرح على ضفاف الوادي الاخضر، او تتسلل الى اعشاش الطيور في اعالي الاغصان ، او تداعب اهداب زهرة تفتح عيونها على انداء الفجر ، او تحمل هدية معطرة الى .. الى قلب نائم يحلم !!

هل بنا نستريح قليلاً ، فقد اعيانا طول السرى بحثاً وراء السعادة ..

انظر .. انظر !! اليست هي التي تسرع الخطو نحونا ؟!!

تأمل !! اليست هي التي اسرعت فحلقت فوق رؤوسنا ؟!!

ثم حدق هناك !! انها هي التي برقت لحظة ، ثم توارت في طيات الضباب !!

يا حسرتا !! لقد اعيانا طول السرى ـ يا قلب ـ بلا امل !!

فلا تبتئس يا قلب ، ولا تيأس !!

هيا نحلق معها، ولو في سماء الخيال!!

هيا يا قلبي .. يا قلبي !!

مالك لا تستجيب يا قلبي ؟! ولماذا تترنح ؟!

ماهذه الرعشة المقرورة تسري في كيانك ؟

ما هذه السكرة المحمومة تعصف بك ؟

ما هذا الصمت المريب يتخونك ؟

اهي رقصة الفناء ، وسكرة الموت ، وسكتة الابد ؟ !! يا ويلتاه !!

لقد غامرت بقلبي مشرداً في الآفاق..

غامرت به افتش عن الاماني ، فما ظفرت بها !! وتراكضت وراء السعادة فلم الحق باطيافها !! وتراجعت.. تراجعت بعد ان خلفت قلبي هناك ..

وعدت .. عدت ولكن بلا قلب !!

في عيني دموع .. من يكفكفها ؟ !!

في قلبي حسرات..من يهدهدها ؟!!

في نفسي آلام .. من يبددها ؟!!

في ضلوعي نار .. من يبردها ؟ !!

نار مقدسة لن تطفئها الا يد اضرمتها

نار كنار الطور..تنضج الالم، وتطهر الروح وتذكي الفؤاد، وتضيء الطريق !!

القاهرة — **رضوان ابراهيم**

ودعا ميللر بقية الزملاء طالباً اليهم ان يحدوا من غلواء زميله ولكنهم كانوا اقرب الى حذر زميله واختلفوا في امر الزاحفين! وغاية ما وعدوه به انهم لن يطلقوا الرصاص !

ولكن انسانية ميللر العملية ابت عليه الا ان يخلع جميع ملابسه ، وان يذهب وحيداً الى اولئك الهنود متبادلا الاشارات معهم ... ثم عاد الى زملائه وحوله اولئك الهنود الاربعة مهللين فرحين ، لدهشة زملائه !

***

قال ميللر : اعود اليكم يا زملائي بهؤلاء الاصدقاء الذين تبينت من إشاراتهم انهم كانوا ضحية احد الجوابين السائحين، اذ اطلق الرصاص على احدهم فقتله ، ومن ثمة كانت خشيتهم منا ، ولا لوم عليهم ! اما الشخوص الزاحفة علينا فليست الا ظلال الاوراق التي تشهد معها ومعهم على صحة دعواهم! اني لا اخشاهم بل اعتذر اليهم واعزيهم ، وبودي ان اكفر لهم عن « قسوة الانسان او عدم انسانيته نحو اخيه الانسان » كما قال الشاعر بيرنز . واقل تكفير ساصنعه ان اجعلهم متكفلين بحراستنا وهدايتنا وان اسلمهم جميع اسلحتنا !

نيويورك — **احمد زكي ابو شادي**

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت

استاذ في العلوم



الفصل الثاني

قبل الاسلام

وليس الاسلام اول ما دعا الى رفض هذه العبادة ، فقد كان في بلاد العرب المتحنفون ، وذلك بعد ان هاجر ابراهيم الى الحجاز كما تخبرنا الكتب المقدسة ، يقيمون الصلاة لإله واحد ، قال جران العود :

وادركن اعجازاً من الليل بعدما اقام الصلاة العابد المتحنف(١)

ولا ننسَ ما كان منبثاً من التعاليم اليهودية والمسيحية،تينك الديانتين اللتين وجدتا لهما مكاناً في بلاد العرب قبل الاسلام باجيال. كما كان هناك افراد لم يثبت أنهم دانوا بدين سماوي، الا انهم سفهوا عبادة الاحجار وكرهوا ما كان يصحبها من شعائر ومناسك .

اولا : الحنيفية

الحنيفية او دين ابراهيم عليه السلام . والقليل معروف عن هذا النبي، حتى ان بعض الماديين من باحثي التاريخ يعتبرون على زعمهم ترجمته المذكورة في سفر التكوين في حكم الاسطورة ، فما أقاربه ، على رأيهم، الا اسماء قبائل ليس الا، وما ابناؤه وآباؤه من يعقوب الى نوح الا اسماء قصصية . اما اصله فقيل انه من الرافدين وقدمن « اور » الى بلاد الكنعانيين(٢) وقد دخل مدينة حران فسكنها مدة وتزوج بنت ملكها «سارة» ثم هبط بلاد الاردن . وهناك قدمت له سارة جاريتها هاجر لعله يأتي منها بولد ، اذ انها كبرت ولم ترزق البنين .فلما حملت هاجر ووضعت اسماعيل اغتمت سارة ودخلتها الغيرة ، وطلبت من زوجها ان يحول هاجر الى حيث شاء ، فاوحي اليه ان احمل هاجر واسماعيل الى أرض الحرم . فسار ابراهيم بزوجه وولده الى الحجاز ونزل قريباً من البيت ، والبيت كان ربوة من آثار الطوفان(١) وامر هاجر ان تتخذ عريشاً وقال : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع »(٢) ثم انصرف الى الشام(٣) . وتفيد القصة انه لم يكن بمكة بيت مشيد بعد ، ولم يرفع هو وابنه قواعد البيت الا لما زارها للمرة الثالثة(٤) وذلك بعد ثلاث وعشرين سنة من مفارقة اسماعيل . فقداشتاق اليه فسار حتى لقيه وهنالك اوحى الله اليه ان ابن البيت المحرم(٥) فاطلع ولده اسماعيل على هذا الامر ، وقاما يحفران عن القواعد ويقولان : « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم »(٦) وكان اسماعيل ينقل الحجارة وابراهيم الشيخ يبني حتى ارتفع البناء(٧)

هذا ولا تكاد توجد اسطورة تتحدث عن ابراهيم الا ومن اهم خطوطها محاربة الاصنام . فقد جاء انه وهو في الرابعة عشرة من عمره ترك اباه ، بل جرب ان يقنعه بترك عبادة الاوثان . ومما يروى انه قام في احدى الليالي واضرم النار في البيت المحفوظة فيه ، وقد احترق اخوه ومات في محاولته انقاذها واطفاء النار (٨) .

والآيات التي وردت في القرآن الكريم بهذا الشأن كثيرة ومفعمة بحديث تلك الحملة الشعواء التي حملها ابراهيم على الاصنام

---

(١) ابو سعد السكري،ديوان جران العود ـ مصر ١٩٣١ : صفحة ٢٢

(٢) The Jewish Encyclopaedia المجلد الأول ، صفحة ٩٠

---

(١) علي بن حمزة الكسائي ، قصص الانبياء ، ليدن ١٩٢٢ ج ١ صفحة ١٤١ ـ ١٥٣ (٢) القرآن الكريم، سورة ١٤ آية ٤٠

(٣) الأزرقي ، اخبار مكة ، ليزك ١٨٥٨ : صفحة ٢٢

(٤) الطبري،تاريخ الرسل والملوك،ليدن١٨٨٤:ج١صفحة ٢٧٨-٢٨٢

(٥) قصص الانبياء ج ١ صفحة ١٤٤-١٤٥

(٦) القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٢١

(٧) اخبار مكة : صفحة ٢٦

(٨) The J. Encyc المجلد الاول ، صفحة ٨٥

دون ان يخشى غضب قومه وغضب النمرود الذي امر بالقائه في النار ..التي لم تكن على ابراهيم الا برداً وسلاماً .وفي «الانعام» اخبار عن مجادلة ابراهيم اباه في اصنامه وآلهته . ووصف لحيرة ابراهيم في معرفته ربه بادىء ذي بدء، ولما لم يقتنع بالكواكب ولا بالشمس والقمر وجه نفسه للذي فطر السموات والارض، وقال لقومه بعد ان حاجوه بالله ، كيف اخشى ما أشركتم،ولا تخافون انكم اشركتم بالله (١) وجاء في « الحج » : « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات » (٢) . موفين النذور ، مجتنبين الرجس من الاوثان حنفاء غير مشركين .

وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ، وقد نبش الطفل اسماعيل عين زمزم فلزمت الطير مكانها ، فجاءت هذه القبيلة الى هاجر ، وطلبوا منها ان تسمح لهم بالاقامة في جوارها ، حتى شب اسماعيل وتزوج امرأة من جرهم ، قيل انه طلقها لفظاظتها حسب وصية ابيه ابراهيم ، وتزوج اخرى فاستقامت عنده (٣) وهكذا يتكاثر ولد اسماعيل وينتشرون كما انتشر دين ابيه في الحجاز وغيره من اماكن الجزيرة ، كما تقول من الاسطورة التي سردها الازرقي وترجع الى محمد بن اسحاق قال : « لما فرغ ابراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام جاء جبريل فقال طف به سبعا ، فطاف به سبعاً هو واسماعيل يستلمان الاركان كلها في كل طوف ، فلما أكملا سبعاً هو واسماعيل صليا خلف المقام ركعتين ، قال فقام معه جبريل فاراه المناسك كلها الصفا والمروة ومنا ومزدلفة وعرفة » وبعد حصب ابليس ، وعرفان ابراهيم مناسكه كلها أمره ان يؤذن في الناس بالحج ، فقال ابراهيم : « يا رب ما يبلغ صوتي » فقال الله تعالى « أذن وعلي البلاغ »...« فعلا على المقام فاشرف به حتى صار ارفع الجبال واطولها، فجمعت له الارض سهلها وجبلها وبرها وبحرها وانسها وجنها حتى اسمعهم جميعاً » وكان قد وضع اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمناً وشاماً وشرقاً وغرباً « وبدأ بشق اليمن فقال ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ، فاجيبوا ربكم ، فاجابوه من تحت التخوم السبعة ، ومن بين المشرق والمغرب الى منقطع التراب من اقطار الارض كلها : لبيك اللهم لبيك ..»(١)

وان دل هذا الحديث على شيء ، فانما يعبر عن انتشار هذا الدين الحنيف – كما يطلق عليه القرآن الكريم – دين ابراهيم الخليل . فقد يظهر انه انتشر في تلك الاماكن من بلاد العرب وخصوصاً بعد ان صاهر اسماعيل – كما يقولون – قبيلة جرهم ، وقد غلبت جرهم هذه على ولاية البيت بعد اسماعيل ، وطغت هنالك وبغت حتى ارسل الله الرعاف – وهو المطر الغزير – واجتمعت على اجلاء من بقي منهم خزاعة ، وكانت هذه تقيم في تهامه ، فخرج سيد جرهم يلتمس التوبة من الكعبة فلم تقبل . ولا تنفك الاسطورة عن جرهم حتى تبيدها . يقول صاحب الكامل : « فلم تقبل توبته ... وخرج بمن بقي من جرهم الى ارض جهينة فجاءهم سيل فذهب بهم اجمعين » (٢) . وسيد جرهم ذاك هو الذي تنسب له القصيدة :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

كما سنرى فيما بعد .

***

يموت اسماعيل ويبقى الحج الى مكة ، والطواف بالبيت ، وتعظيم مكة . وتكر الايام ويعفي الزمن شيئاً فشيئاً على هذا الدين . وتأخذ بذور عبادة الاصنام تنبت بشدة بينهم ، فما نشر عمرو بن لحي اوثانه الا وهم متهيئون لقبولها آلهة . يقول ابن اسحاق : « ويزعمون ان اول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل انه لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم ،فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة واعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدي البدن والاهلال

(١) القرآن الكريم سورة ٦ آية ٧٤ – ٨٤
(٢) القرآن الكريم سورة ٢٢ آية ٢٧ – ٣٠
(٣) تاريخ الرسل والملوك ١ / ٢٨٣ – ٢٨٤

(١) اخبار مكة ، صفحة ٣٣ – ٣٤
(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ليدن ١٨٦٦ : ج ٢ صفحة ٣٠

بالحج مع ادخالهم فيه ما ليس منه » (١) .

ثانيا : اليهودية والنصرانية

اليهودية وكان غير المتحنفين في بلاد العرب قبل الاسلام عدد كبير من اليهود والنصارى ، وان كانت الاكثرية عباد اوثان وكواكب . ومن الصعب ان نتحقق تاريخياً من بدء وجود اليهود في الجزيرة العربية ، فالبعض من الثقات يظن ان وجودهم باليمن يرجع الى ايام سليمان، والبعض الى عهد سقوط اورشليم على يد نبوخذنصر(٢) ومن الجائز ان يكون نزوحهم الى الجنوب قد تزايد مباشرة بعد تخريب الهيكل الثاني بقليل . ويظن نكلسن ان اقدم المستعمرات اليهودية في الحجاز يرجع الى زمن سقوط القدس بيد تيطس او هدريان(٣) «وعلى كل فقد كان في القرون الاولى للميلاد مستعمرات يهودية في تيماء وفي فدك وفي خيبر وفي وادي القرى وفي يثرب وهي اهمها . وكان بيهود يثرب ثلاث قبائل بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة»(٤)

ولا سبيل الى القول انهم ما حملوا معهم توراتهم بتعاليمها ومعلوماتها في جانب اساطيرهم وخرافاتهم ، كما انهم ادخلوا على العربية كلمات ومصطلحات دينية جديدة . ولقد كانوا ايجابيين في الاعمال اليدوية فلم يحرثوا الارض ويزرعوا النخيل فحسب، وانما كانوا مهرة في صنع الاسلحة والمصوغات . وقد اندمجوا بالعرب ـ لا كما يظن البعض ـ واعتنقوا عاداتهم واتخذوا اسماءهم حتى ان اسماء التوراة لم تكن شائعة الا بين نفر قليل، كما كانت اسماء قبائلهم عربية محضة لا تفيد عن اصلهم شيئاً(٥)

ومما يجدر بالاشارة « ان اليهودية حلت بجزيرة العرب بعد ان تأثرت بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً ، لانها ظلت قروناً تحت الحكم اليوناني الروماني ، ولانها كانت منتشرة في الاسكندرية وعلى شواطىء البحر الابيض حيث الثقافة اليونانية»(٦)

وامتدت دياناتهم ـ وان ندر امتدادهم بانفسهم ـ الى ما وراء يثرب ، فقد تهود الكثير من العرب ، قال اليعقوبي : « فاما من تهود منهم فاليمن باسرها... وتهود قوم من الاوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير ، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام»(١) وقال ابن قتيبة : وكانت اليهودية في حمير وفي بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة(٢)

ويرجع امتدادها وانتشارها بكثرة الى تهود ابي كرب آخر ملوك التبابعة ، وتهود حمير بعده ، وذلك لما اراد غزو المدينة منعه من ذلك حبران عالمان من اهلها، فأعجبه منها علمها وحكمتها وتهود وسار الى مكة فاغراه نفر من هذيل باموال بيت مكة ، فارسل الى الحبرين يستشيرهما فقدماه وقالا له : « ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الارض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً » وطلبا منه تعظيم البيت ، فقال : ما منعكما انتما ؟ فقالا : « اما والله انه لبيت ابينا ابراهيم وانه لكما اخبرناك ، ولكن اهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس اهل شرك»فقتل بالنفر الهذليين،وطاف بالبيت وكساه واوصى به ولاته من جرهم واخذ الحبرين معه الى اليمن ، ودعا قومه الى اعتناق اليهودية ، فاعرضوا واحتكموا للنار ـ وهنا سرد خرافة ـ ومن ثم تهودت حمير ، وهدم الحبران بيتها « رئام » الذي كانت تعظمه بعد ان استشارا الملك(٣)

وقد ظل ملك اليمن في بني حمير يتوارثونه ويتعصبون له حتى كان امر ذي نواس الحميري ، وكان هذا متعصباً لليهودية التي لم تنتشر انتشارها التام الا على زمانه في القرن السادس للميلاد (٤)

***

النصرانية ولم تكن المسيحية باقل انتشاراً من اليهودية ، ويرى شيخو في كتابه « النصرانية وآدابها بين عرب الجزيرة» انها وجدت لها مكاناً في اكثر اصقاع البلاد العربية في مشارف الشام والحجاز واليمن والبحرين والعراق

---

(١) محمد بن اسحاق ، السيرة رواية ابن هشام ، جوتنجن ١٨٦٠ : صفحة ٥١ ـ ٨٢ .

(٢) المجلد الثاني Encyclopaedia Britannica : صفحة ٢٦٢

(٣) R. A. Nicholson, (A Literary History of the Arabs) Cambridge, 1930 صفحة ١٣٧

(٤) احمد امين ، فجر الاسلام ، الطبعة الثانية ، مصر : صفحة ٢٧

(٥) المجلد ٢ صفحة ٤٢ The I. Enc

(٦) فجر الاسلام : صفحة ٢٩

---

(١) ابن واضح اليعقوبي ، تاريخه ، ليدن ١٨٨٣ . ج ١ صفحة ٢٩٨ .

(٢) ابن قتيبة ـ كتاب المعارف ، جوتنجن ١٨٥٠ . صفحة ٢٩٩

(٣) السيرة صفحة ١٢ ـ ١٨

(٤) المجلد الثاني ، صفحة ٤٢ The I. Enc.

وغيرها. وقد تنصر عدد كبير من القبائل . يقول ابن واضح : «واما من تنصر من احياء العرب فقوم من قريش من بني أسد ابن عبد العزى ، ومن تميم بنو امرىء القيس بن زيد مناة ، ومن ربيعة بنو تغلب، ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم»(١) ويقول ابن قتيبة: ان النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة(٢) وليس لنا ان نتتبع سيرها في جميع الاماكن، ولكن لا بأس من ذلك في نجران ، اهم موطن للنصرانية في بلاد العرب، حيث كانت مدينة خصبة عامرة بالسكان يتولى امور النصرانية فيها رؤساء ثلاثة: السيد والعاقب والاسقف وكان نصارى نجران ، كما يستظهر اوليرى ، على مذهب اليعاقبة مما ادى الى اتصالهم بالحبشة « وهم كذلك » اكثر من اتصالهم بالرومان(٣) وحيث اصطدمت النصرانية هنالك في الجنوب مع اليهودية بحرب ضروس .

يرجع تنصر نجران الى رجل صالح من اتباع عيسى عليه السلام يقال له فيميون . كان سائحاً لا يعرف بقرية الا غادرها، وكان اولا في قرية من قرى الشام يتعبد . وقد صحبه رجل من اهلها يقال له صالح ، يتبعه حتى وطآا بعض ارض العرب، فعدوا عليهما ، واختطفتهما سيارة من الاعراب خرجت بهما ، وباعتهما بنجران واهل نجران يومئذ تعبد نخلة طويلة بين اظهرهم لها عيد كل سنة ... ويكمل ابن اسحاق حديثه باسطورة تفيد ان هذا الولي الصالح تطهر وصلى لربه ودعاه على هذه النخلة فعصفت بها ريح واقتلعتها .. وعند ذلك تبعه اهل نجران على دين ابن مريم(٤) وما زال الدين المسيحي آخذاً بالانتشار حتى كان ذو نواس، فدعاهم الى اليهودية ، الا ان النجرانيين أبوا واستعدوا للدفاع عن بلدهم ، ولكن ذا نواس دخلها بالمكر واوقع بهم ، وما لبث الخبر ان نمي الى قيصر الروم بواسطة رجل فر هارباً، واستنصره على ذي نواس فامر قيصر نجاشي الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل، وارسل جيشاً مع أرياط وأبرهة الاشرم فناجذوه القتال ، وظفروا ببلاده ، وأتم الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها اكثر من نصف قرن حتى مد الفرس سيطرتهم على تلك البلاد

(١) تاريخ ابن واضح اليعقوبي . ج ١ صفحة ٢٩٨ - ٢٩٩
(٢) كتاب المعارف ٢٩٩
(٣) فجر الاسلام صفحة ٣٠
(٤) السيرة صفحة ٢٠ - ٢١

الى ان تقدم المسلمون وفتحوا نواحي اليمن فيما بعد(١) فتكون النصرانية قد استمرت في نجران الى عهد عمر حيث ذهب اكثرهم الى العراق(٢)

اما أبرهة المذكور فهو صاحب الفيل كما سيأتي معنا الحديث بعد ، وهو الذي بنى كنيسة بصنعاء سماها القليس ، وكتب الى النجاشي يقول: «اني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها أحد قط، ولست تاركاً العرب حتى اصرف حجهم عن بيتهم الذي يحجون اليه »(٣)

فذيوع النصرانية في بلاد العرب كان من شأنه نشر تعاليمها بين الاعراب . ومن الاخبار الادبية ان القسس والرهبان كانوا يؤمون الاسواق العربية في الجاهلية ويبشرون ويذكرون الحساب والعذاب والجنة والنار . وخير مثل نضرب به هنا خطيب أياد وراهب نجران ، قس بن ساعدة ، فلا بد وان تكون النصرانية اذاً ، قد ادخلت على العربية الفاظاً وتراكيب لم تكن تعرفها العرب ، وفوق هذا فان النصرانية كانت من قبل دخولها جزيرة العرب تحمل في ثناياها شيئاً من الثقافة اليونانية كما هو شأن اليهودية(٤) .

ثالثاً : المتألهون وغيرهم

امتز صفات العربي شعوره بالحرية والانفة . وقد ساعده على ذلك طبيعة بلاده البكر منذ ان دب على سطحها . فهو ممتنع منذ الأزل، صعب القياد لا يعترف بملك ولا يخضع لسلطة . وهو اقرب الى البداوة ، ينظر الى الاشياء نظرة مادية ، ولا يميل بطبيعته كثيراً الى الدين . متعلق بحريته تعلقاً يقرب من العبادة . معتز بقبيلته ومفاخرها ، ولعل اواصر القبيلة اشد العلاقات التي تربط بين افرادها متانة وقوة .

اما انه لا يميل الى الدين فالاخبار ، ودراسة نفسيته، يؤيدان ذلك ، والقول ينطبق على عربي الجاهلية ، وان كان احياناً شديد التعظيم لآلهته المنصوبة حول الكعبة ، وفي غيرها من البيوت والاماكن المقدسة ، فقد كان ينكر هذه الآلهة لاسباب

(١) الاب لويس شيخو اليسوعي ، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، « القسم الاول » بيروت ١٩١٢ ، صفحة ٦٠
(٢) فجر الاسلام ، صفحة ٣١
(٣) الكلبي ، ابو المنذر هشام - كتاب الاصنام ، مصر ١٩٢٤ ، صفحة ٤٦ - ٤٧ (٤) فجر الاسلام صفحة ٣٢

تافهة ، ويرتد عن عبادتها، ولا بأس من اكلها اذا كانت مصنوعة من مادة غذائية ! كما فعل بنو حنيفة بالههم ، وكان مصنوعاً من حيس ، فقال تميمي :

أكلت ربها حنيفة من جوع قديم بها ومن إعواز

وقال آخر :

أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة(١)

وهذا كناني يقبل على صنم قبيلته فتنفر ابله من منظر الدماء المراقة عليه فيرميه بحجر ويقول: لا بارك الله فيك إلهاً، انفرت علي ابلي(٢) .وذاك آخر يقتل أبوه فيستشير الصنم مستقسماً بالقداح فيخرج الناهي عن الاخذ بالثار فيضرب بالقداح وجه الصنم ، وينصرف ليفتك باعدائه(٣) .وذلك ثالث كان يأتي لصنمه بالطعام ويضعه عند رأسه ، فمر يوماً ثعلبان فاكل الطعام وعصل على رأس الصنم، فغضب الرجل وضرب الصنم فكسره وقال:

لقد خاب قوم أملوك بشدة ارادوا نزالا ان تكون تحارب
فلا أنت تغني عن امور كثيرة ولا انت دفاع اذا حل نائب
أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب !(٤)

وغير هؤلاء كثر .

وتكثر الاحاديث عمن تأله ونفض عنه في الجاهلية عبادة الاصنام فكان على دين او شبه دين ، وهو وان لم يدرك دعوة النبي الا انه بقي على اصل فطرته ناظراً بعين بصيرة . وربما كان مثل هذا النفر على معرفة بالحنيفية وشيء من تعاليم اليهودية والنصرانية . وليس هذا يبعيد لوقوع الاحتكاك بين هذه العناصر قبل الاسلام . ومن الاحاديث التي تروى عن مثل هؤلاء القوم قول ابن اسحاق : اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من اصنامهم كانوا يعظمونه ويخرون له ويعتكفون عنده ويدورون به ، وكان ذلك العيد لهم كل سنة يوماً، فخلص منهم اربعة وهم ورقة بن نوفل، وعبيدالله بن جحش بن رئاب. وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل . وقال بعضهم لبعض : « تعلموا ! والله ما قومكم على شيء . لقد اخطأوا دين ابيهم ابراهيم . .ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لانفسكم ديناً فانكم والله ما انتم على شيء » وتفرقوا في البلدان، اما ورقة فقد تنصر ، واما عبيدالله فقد اقام على ما هو فيه من الالتباس حتى اسلم، ثم تنصر لما هاجر مع المسلمين الى الحبشة ، وكذلك تنصر عثمان بعد قدومه على الروم ، واما زيد فوقف لا يدخل في يهودية ولا نصرانية ، بل فارق دين قومه وعاب ما هم عليه ، واعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ، ونهى عن قتل الموؤودة. وروت اسماء بنت ابي بكر انها رأت زيداً وهو شيخ كبير مسنداً ظهره الى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفس زيد بيده ما اصبح منكم احد على دين ابراهيم غيري ... اللهم لو اني اعلم اي الوجوه احب اليك عبدتك به، ولكن لا اعلمه، ثم يسجد على راحته . وتنسب لزيد هذا ابيات في عزله اللات والعزى وغيرهما من الاصنام ، واكثرها يشير الى عدم اشراكه بالله ، ولما قتل رثاه ورقة بن نوفل بابيات مثلها(١)

وعلى شاكلة هذا النفر عدد كبير من رجال الجاهلية لا هم بالمتحنفين تمام التحنف ، ولا هم بنصارى او يهود . ولعل امية ابن ابي الصلت وعبد المطلب بن هاشم جد النبي خير مثال لاولئك الجاهليين الذين لا ميزة لهم الا اقرارهم ، كما تفيد الاخبار ، بوجود إله ، مع شيء ليس بالقليل من التشويش في العقيدة والاضطراب .

وكان عبد المطلب سيد قريش حينما هاجم ابرهة الاشرم مكة لهدم البيت . وقد مثل امام أبرهة - وكان قد اصاب له مائتي بعير - فسأله ابرهة عن حاجته ، فقال : رد بعيري . فقال ابرهة : اتكلمني في ابلك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك؟ قد جئت لهدمه ! فاجابه عبد المطلب : انا رب الابل ، وللبيت رب يمنعه ! فقال الحبشي : ما كان ليمنع مني ! وامر برد ابله ، فرجع بها عبدالمطلب، وطلب من قومه الخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال، وذهب مع نفر من قريش الى الكعبة، واخذ بحلقة بابها يدعو الله ويستنصره على أبرهة(٢) .

محمود الحوت

(١) كتاب المعارف ، صفحة ٢٩٩
(٢) كتاب الاصنام ، صفحة ٤٧
(٣) نفس المصدر صفحة ٣٤، ٣٥، ٤٧
(٤) الدميري - حياة الحيوان الكبرى - مصر ١٣٠٥ ج١ صفحة ١٦٠

(١) السيرة ، صفحة ١٤٣ - ١٤٩
(٢) الكامل في التاريخ ج ١ صفحة ٣٢٠ - ٣٢٤

صحراء

الى الاستاذ زاهي عرنوق

✡

صحراء ، يا حلم الصباح الباكر ... ومجاجة الامل الشهي الناضر
هذا سرابك أقتفيه وفي فمي ... شوق تفجر ، فهو نفثة شاعر
ادعوه مكتئباً ، فينفر خائفاً ... شتان بين مروّع ومغامر
وانا الذى عبد السراب ، فقلبه ... همس، على شفة السراب الماكر
وألذ ايامي ، هوى وصبابة ... يوم نعمت بلمحه المتناثر
واضمه شغفاً ، ويطمعني الهوى ... فاغيب بين مراشف ومحاجر

***

صحراء،يا شوق الغريب، وغصة ... مغموسة بدم الشقي العاثر
ماذا اقول ؟ وانت زهو عشية ... حمراء ، في عيني محب حائر ؟
نهم الجوانح ، والفؤاد مجرح ... دام ، يعلله بطيف زائر
ويلوح من شفك الندي ، وإنه ... لألذ من رهج الصباح الساحر
حتى اذا حلم الكثيب بهمسة ... نفر الغزال ، وويحه من نافر
وارتد مذعور الرجاء ، كأنه ... قلق تشبث في جناحي طائر

***

صحراء، ها أنا في رحابك هائم ... تعب الدليل، وغاب وهم الناظر
وأحس اني في رمالك ذرة ... مجهولة ، قنعت بحلم عابر
قولي لحسنائي،ضنيت من الهوى ... وأضر بي صرف الزمان الغادر
وانا الوفي ، وما اقترفت جناية ... غير الجنون ، بناهد وضفائر

***

صحراء ، قولي للحبيبة إنني ... شيعت اعراس الشباب العاطر
واريتها خلف الظنون،ولم تزل ... اطيافها العذراء،ملء سرائري

طرطوس - سوريا ... انور الجندي



تاريخ الادب العربي

للأب حنا الفاخوري – ١١٠٧ صفحة – مزين بالرسوم
المطبعة البولسية – حريصا لبنان

كثيرة هي الكتب التي وضعت في تاريخ الادب العربي، وقليلة جداً تلك التي نشعر بانها شاملة بايجاز شاف يكفي طالب الادب، ويحفظ لمدرسيه الخطوط الكبرى واضحة جلية في حلبة التدريس، وفي غمار الاطلاع والتوسع اذا ما راوا ان لا بد من الافاضة في شرح نص، او ايضاح فكرة، او إلمام باطراف حديث عن حقبة من حقب التاريخ الادبي.

و «تاريخ الادب العربي» الذي صدر اخيراً للاب حنا الفاخوري، انما يجري اليوم في طليعة المؤلفات العربية التي تناولت هذا الموضوع الواسع الرحب الذي لا يزال، على الرغم من تلك الكثرة، بحاجة الى فهم ودراسة وجهود شاقة صادقة حتى تمهد سبله وطرق الوصول الى تذوق وجوه الجمال فيه، كما فعل الغربيون وغير الغربيين في تواريخ آدابهم الشائكة الشائقة.

والحق الذي لا مرية فيه، ان الاب الفاخوري قد دفع بمؤلفه الحديث هذا الى الخزانة العربية، بعد عكوف طويل على دراساته العميقة، وتدريسه المضني المتواصل، مزيجاً محكما من علم صحيح وأدب فصيح، مما سيبوىء كتابه القيم مكانته الرفيعة المرموقة بين ما عندنا من المصادر في هذا المضمار.

والكتاب ضخم يقع في اكثر من الف ومائة صفحة من القطع المتوسط، وبحثه يشمل تاريخ الادب العربي كله اي من ايام الجاهلية حتى عصرنا الحاضر. واذا ما سار مؤرخو الادب طرائق شتى من حيث تقسيم العصور الادبية، فقد اتبع مؤلف كتابنا الترتيب التالي لانه، حسب تعبيره أدق تقسيما واكثر شمولا:

١ – العهد الجاهلي ٤٧٥ – ٦٢٢ من اواخر القرن الميلادي الخامس حتى ظهور الاسلام.

٢ – العهد الراشدي والاموي ٦٢٢ – ٧٥٠.

٣ – العهد العباسي ٧٥٠ – ١٢٥٨ وهو يشمل عهد بني العباس في الشرق، وعهد امية في الغرب «الاندلس»، كما يشمل حكم الدول المستقلة في العراق، وفارس، وخراسان، ومصر والشام.

٤ – العهد التركي ١٢٥٨ – ١٧٩٨ ويدعى «عصر الانحطاط»، ويشمل حكم المغول، والمماليك، والعثمانيين، وينتهي بالحملة الفرنسية.

٥ – عهد النهضة الاخيرة – ويمتد من اواخر القرن الثامن عشر حتى اليوم.

هذا، وقد ظهرت قدرة المؤلف، مع ايجازه او ضغطه الحقائق الادبية ضغطاً علمياً، على ايفاء هذه الحقب الطويلة حقها من البحث والتمحيص وهو، وان لم يدرس النصوص – وهذا ليس من وظيفته في الكتاب المذكور – درسا تحليلياً، الا انه لم يترك الاستشهاد بنصوص نثرية وشعرية كثيرة لتقرير معنى، او دعم رأي، او ايضاح ناحية من نواحي الشخصية الادبية. وكثيراً ما يقتبس من المراجع فكرة او تعبيراً او جملة تزيد في اشراق الاداء وجماله، ويا حبذا لو جشم الاب الفاضل نفسه مشاق الاشارة الى الموضع المقتبس منه في تلك المآخذ الادبية او الفكرية او التاريخية حتى اذا شاء القارىء الرجوع الى هذه الينابيع، هانت عليه الطريق.

ومن المفيد التنويه بما اتبع المؤلف من ذكر المصادر العربية والاجنبية في نهاية كل بحث من ابحاث الكتاب مما يشيع في نفوس طلاب الادب حب الاطلاع والتوسع. والطريقة العلمية هذه ثقافة في حد ذاتها، فكثيراً ما يدفع العلم بالشيء الى الاحاطة به.

وانه لطريف ذلك الاسلوب الهادىء الرزين الذي جمع بين الايجاز العلمي القاطع وبين الديباجة الادبية الشهية، مستهدفاً سكب الحقائق في ذهن القارىء بسرعة وسهولة. ولقد يناقش المؤلف آراء الغير ونظرياته بروية وبرود لا يعرفان الحدة والانفعال، فيفند الحجج، ويخلص، بالتالي، الى حكم خاص توافقه عليه، وقد تخالفه دون ان تشعر بان صاحبه رمى الى غرض غير مخلص او غاية غير صادقة. فالاب الفاضل عندما يقول: «لم يوفق شوقي في تقليد الاقدمين، لما في ذلك من التكلف..» مثلاً،

او يقول عن الشاعر نفسه : « اما في وصفه عواطف النفس فله نظر سطحي بعيد عن الايغال في التحليل » فلا ادري كم من المتذوقين لاشعار ذلك العبقري ، يجارون المؤلف في مثل هذه الاحكام .

ومما يثير اعجابك في الكتاب تسلسل ابحاثه المنطقي، وتحليل المواضيع الى عناصر عدة يستوجبها ذلك التسلسل ، فلا يكاد يترك شاردة ولا واردة الا ويتعرض لها حتى يوفي البحث حقه من شتى نواحيه .

وطريقة تلك الـ« موضوعات للبحث» التي يثبتها المؤلف في نهاية كل بحث، فهي تساعد الطالب على التقصي والتعمق، وتكوين شخصية باحثة مدققة ، كما انها تساعد المدرس على خوض الحديث الادبي المجدي مع طلابه، وتحمله في كثير من الاحايين على محاكاتها في وضع اسئلة مفيدة للمناقشة فيها تارة، والاجابة عليها تارة اخرى

ويلذ لي حقاً في ختام هذه الكلمة ان اشير الى العديد العديد من الصور المنتقاة الجميلة التي رصع بها المؤلف كتابه مما زاد في وسائل الايضاح . واجمل ما فيها تلك اللوحات الفنية الرائعة التي وضعها من الخيال الفنان الفذ ارتورو اورتس ، فهي ، بالاضافة الى كونها لوحات لعب بها فن الرسم دوره الاول ، قد دلت على انها نتاج دراسة أصيلة عميقة، وخيال كاد ان ينفذ الى صميم الحقيقة

محمود الحوت

رأيت وسمعت

لمحمد قره علي - ٣٤٤ صفحة - ورق صقيل - مطابع دار الكشاف - بيروت

الاستاذ محمد قره علي موهوب هبات ذهنية خصبة فرضت عليه فرضاً ان يخرج من غمار الخاملين الى صفوف الذين تتردد اسماؤهم على الالسنة والاقلام في محيط واسع من الحياة .

والهبات الذهنية هذه التي قدر للصديق قره علي ان يتمتع بها ، ماكان لها ان تخرج به من غمار الخاملين ، لو لم تعززها حيويته ويغذوها نشاطه وطموحه .

فهو قد تنقل في حياته من مرحلة الى مرحلة ، ومشى الى صفوف المعروفين والمقروئين رويداً رويداً ، دون طفرة ولا شذوذ، وانما كان ذلك بسعيه ودأبه وجهده ونضاله، فكان ذلك - إذن - حقاً له انتزعه من قلب الحياة والاقدار انتزاعاً رغماً عن شذوذ الاقدار ، ورغماً عن انحراف نظام الحياة الراهن ، هذا النظام الذي يحجب كثيراً من الحق عن ذويه ومستحقيه اذا لم يكونوا من ذوي الناب والظفر ، او من ذوي المال والجاه او من ذوي الايدي والسلطان .

من هنا نستطيع ان نقول ان محمد قره علي رجل كسب حقه بيده ولسانه ونشاطه ، لا بيد الاقدار ولا بيد الحياة ، ولا بيد احد من الناس مطلقاً .

ومن هنا لا يستطيع احد ان ينكر على هذا الرجل انه استفاد من مواهبه الذهنية بفضل همة النشاط والخصب في رجولته وما هذا الكتاب « رأيت وسمعت » الا أثر من آثار هذا النشاط وهذا الخصب، وهو كذلك أثر من آثار الجرأة وحسن التصرف وقوة الوثوب والتطلع في نفسه .

فانت ترى ان الرجل مكتمل العدة لمنازلة الاقدار والحياة ، وانت ترى - بعد ذلك - ان ما يناله من قلب الاقدار والحياة إنما هو حلال طيب ، لانه يناله بجلاده وجهاده كما قلت .

وتراني اطلت في الحديث عن شخص المؤلف ، ولم اقل شيئاً عن الكتاب نفسه بعد ، ولكني متعمد ذلك لكي تعلم حين احدثك عن هذا الكتاب انه جاء تعبيراً صادقاً صريحاً عن شخصية صاحبه ، وانه اذا كان في هذا الكتاب ما ترى من

صور الحياة والوان النشاط ووجوه الراي ، وملامح الذهن ، فانما كان ذلك لان مؤلف الكتاب قد وضع فيه من شخصه ونشاطه وخصبه وتطلعه وطموحه ، اشياء كثيرة غزيرة .

هذا رأيي في «رأيت وسمعت» ، واشهد انه كتاب يؤرخ حقبة من حياتنا الوطنية القومية بهذا اللون الادبي من التأريخ ، الذي تحتشد فيه حيوات كثيرة على غير ميعاد ، وتأتلف فيه من حياتنا العامة نقائض شتى ، هي من صلب هذه الحياة العربية المؤتلفة المختلفة ، والمنسجمة المتناقضة في آن معاً .

وبعد ، ان مثل هذا اللون في تأريخ الحياة والناس ، هو - في رأيي - من جوهر الادب الذي يتصل بالحياة وبالناس ، ولا يعتز لها بعيداً في الابراج والمقاصير .

حسين مروة

ظهر حديثاً :

● الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة - لمصطفى سويف مع مقدمة بقلم الدكتور يوسف مراد استاذ علم النفس بجامعة فؤاد الاول - ٣٥٠ صفحة - قطع كبير - ورق صقيل - من منشورات جماعة علم النفس التكاملي - مطابع دار المعارف بمصر

قال الدكتور يوسف مراد في مقدمة الكتاب : « ... ان هذه اللمحة السريعة في عالم الفن والجمال ليس الغرض منها سوى الاشارة الى الصعوبات الضخمة التي تعترض الباحث الذي يحاول اماطة اللثام عن سر الابداع الفني . غير ان الصعوبات مهما عظمت لم تكن لتثني عزيمة الباحث المخلص الذي يتسلح بمنهج سديد متكامل يتسع بحيث لا يدع اي عنصر من عناصر هذا الموضوع العسير يفلت من شبكته . وهذه المحاولة المخلصة قد قام بها بتوفيق عظيم تلميذي وصديقي الاستاذ مصطفى سويف صاحب هذا الكتاب الذي يسرني كل السرور ان اقدمه الى قراء العربية ، واود ان اقرر ان المؤلف قد اعد نفسه احسن اعداد للقيام بهذا البحث اذ انه جمع بين ثقافة فلسفية عميقة وثقافة ادبية اجتماعية واسعة ، هذا فضلا عما يمتاز به اسلوبه الفكري من نظام ووضوح وتدقيق . كل ذلك في ضوء منهج تجريبي موجه . ولا يلبث قارىء هذا الكتاب طويلا حتى يدرك مدى المجهود العظيم الذي بذله المؤلف في الاطلاع والتأمل والبحث عن اكثر الوسائل ملاءمة لدراسة موضوعه على اسس متينة ولتوجيهه في طريق خصب مجد ...

... ان هذا الكتاب يعد فاتحة موفقة لحياة علمية خصبة والاستاذ مصطفى سويف جدير بان يحقق الآمال العظام التي يعقدها عليه لا اساتذته فحسب بل ايضاً تلامذته المعجبون به وذلك بعد انضمامه الى هيئة التدريس بجامعة فؤاد الاول .

● كتاب المؤتمر الثقافي العربي الثاني - الاسكندرية ٢٢ اغسطس الى ٣ سبتمبر ١٩٥٠ - ٤٠٦ صفحة - قطع كبير - منشورات جامعة الدول العربية

في هذا الكتاب خلاصة اعمال المؤتمر الثقافي العربي الثاني ، يرى فيها القارىء دراسات مختلفة لمواضيع مختلفة ، وقد اعد برنامج هذا المؤتمر المكتب الدائم للادارة الثقافية ، وادخلت عليه بعض التعديل وزارة المعارف المصرية ، وهو يعالج بعض المشاكل التي تتعرض لها الاقطار العربية تتذبذب بين مبدأين مشهورين ، وهما : التعليم للجميع ، وفتح ابواب الجامعات والمدارس العليا على مصاريعها ، او تقييد ذلك بنخبة من ابناء الاغنياء ونوابغ الفقراء ، وقد مرت الامم الاخرى بمثل هذه المشاكل ، وتعاونت على حلها ، ولا شك ان جميع القادة يؤمنون بضرورة تعليم الكافة ، ويودون لو اتيح تعليمهم جميعاً في الجامعات والمدارس العالية ، ولكن اماكن هذه المعاهد محدودة لا تكفي للجميع ، فكيف نوفق بين رغباتنا واماننا ، وبين هذه الاماكن المحددة . هذه هي المشكلة .

● هندية - للآنسة جميلة العلايلي - ٨٦ صفحة - قطع صغير - مطبعة دار التأليف بمصر

هندية : « قصة » للاديبة الانسة جميلة العلايلي رئيسة مجمع الادب العربي وصاحبة مجلة الاهداف بالقاهرة . هي محاولة في كتابة قصة « فتاة روحية » .. تطغى على اسلوب مؤلفتها لهجة خطابية متحمسة تأبى الا ان تقنع القارىء بما تعرضه عليه من آراء في الحياة والعمل والاعداد الروحي .. ولولا بعض « حوادث » في « القصة » لحسبتها مجموعة محاضرات في التوجيه ولعل عدم تملك « القصة » في السرد القصصي ومن « الحوادث » راجع الى هذه الاراء التي تزخر بها نفس المؤلفة والتي تريدان تخرجها الى القراء ، وخاصة ان « القصة » كتبت بعد عودة المؤلفة من الهند حيث تحسست فعل تيارات غاندي وطاغور الروحية ... ومن القصة ايضاً نلمح صورة غامضة مضطربة لحياة واتجاهات المرأة المصرية .

• رباعيات الحيدري – شعر – لطالب الحيدري – ٦٩ صفحة – مطبعة المعارف – بغداد

يقول الشاعر في المقدمة: «هذه سلسلة من الاراء والخواطر صغتها في فترات من الزمن وانا بين سخط ورضا وقلق وسكون. وجد وهزل. انظر الى الحياة مرة والى الناس اخرى. واخاطب العقل طوراً والقلب طوراً آخر. ثم امزج بين هـذا وذاك. فاسكب في قوالب شعري خلاصة استقرائي وزبدة بحثي. في تمام الحرية وتمام الانطلاق..

... لقد مر الشعر الحديث بمراحل كثيرة انتقل فيها من سيء الى اسوأ. حتى صار الى ما صار اليه من ضحالة في الخيال وبلادة في التفكير وقصور في الاداء وعجز في المفردات. فاذا الشعر لون من الوان الحديث المزخرف المنمق. تقرؤه فلا ترى غير الفاظ خلابة وموسيقى جذابة وديباجة كلها انوثة وترف. ثم لا ترى وراء ذلك كله معنى سامياً او غرضاً نبيلا او فكرة راقية او مثلا رائعاً او تشبيهاً جديداً وانما ترى التقليد الاعمى والخروج الشنيع حتى على الذوق والمنطق.

والمؤسف جداً ان يجد بعض الناعقين الذين يسمون انفسهم «مجددين» من يطبل لهم ويزمر. حتى كأن التجديد هو السير وراء ادب الغرب خطوة خطوة. غير ملتفتين الى ما في آداب الشرق من نفحات روحية ورعشة صوفية. وهل ادب الغرب وشعره الا نفحة من تلك النفحات ورعشة من تلك الرعشات؟

... نحن في امس الحاجة لاذواق ملهمة وقرائح خصبة وافكار جبارة تستطيع ان تأتينا بامثال ابي نؤاس وابي الطيب وابي العلاء. فاذا تم لنا هذا كنا مجددين حقاً والا فنحن جامدون كالأحجار».

• كنوز الاجداد – لمحمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق – ٤٠٤ صفحة – قطع كبير – ورق صقيل – مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

يقول الاستاذ العلامة في «المقدمة»: يحمل هذا التصنيف سيرة بعض من طالت عشرتي لهم، واغترافي من معين اسفارهم من رجال الاسلام، وكان كثير غيرهم احرياء ان يضموا اليهم، فمنعني منه كوني لم اطالع ما كتبوا مطالعة متدبر متبحر، او كان ما غلب عليهم من فروع العلم لم يكتب لي حظ الاشتغال به. ولو حاولت ان اترجم لكل عظيم من مؤلفي العرب لاقتضى ان اكتب تراجم خمسين مؤلفاً على الاقل من كل قرن من قرون الاسلام، وهذا مما يعجز الفرد عن الاضطلاع به.

والقصد من تذكر المؤلفين وما الفوا – وحصرت الكلام في المطبوع منها – ان نظل على اتصال بهم، وفي ذلك شيء من الوفاء لهم، ومعنى من معاني التقديس لمن ابقوا لنا هذا المجد العظيم الذي فاخر به عظماء العلماء على الدهر.

• دموع ... واشواق – مجموعة شعرية – للشاعر السوداني حسن عزت – ١٠٠ صفحة – مطابع دار الكشاف – بيروت

الاهداء الى صاحب السمو الملكي الامير سعود بن عبد العزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية تحية وتقديراً لجهوده النبيلة للارتقاء بشعبه وبلاده.

يقول الاستاذ محمود ابراهيم الشرقاوي في مقدمة المجموعة: اغلب قصائده في هذا الديوان – ولا اقول كلها – تتحدى الفناء في قوة وروعة وتحتضن الخلود في عناد واصرار .. ولا غرو، فهي قطع اقتطعها الشاعر من نفسه الفتية وشبابه الغض ليملأ بها صفحات الليالي .. ولم يتمالك بالطبع ان تفيض تلك الصفحات بقتام اليأس او شعاع الاماني البيض.

ونحن اذ نعبر هذا الديوان في خطى وئيدة، ونقف على مقاطع الحزن، والاسى والدموع واليأس والحرمان والآهات والآلام، وهي ذات القدح المعلي في قصائد الشاعر ... فان ذلك لن يصرفنا عن ان تروعنا قوة التعبير وسلاسته، واختيار الالفاظ وانتقاءها وان نؤخذ بتلك العاطفة الحارة المندفعة، وتلك الخطرات الفلسفية الموفقة. وتلك الثورة الفكرية الصامتة

• Ma'ruf ar-Rusâfi (1875-1945) Atika, A Modern Poetess - 21 p. by S. A. Khulusi, Baghdad

جولة الأديب في شهر

مدينة الرياض بين الماضي والحاضر

بقلم حمد الجاسر
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

•

قامت مدينة الرياض الحديثة على انقاض مدينة «حجر» التاريخية القديمة . وحجر كانت حاضرة قبيلة « طسم » احدى القبائل العربية البائدة العريقة في القدم . ولها ذكر كثير في مؤلفات متقدمي المؤرخين كالهمداني والمسعودي وابي عبيد البكري والحموي وغيرهم . ويبالغ بعض المتقدمين في وصف تلك المدينة وما يحيط بها من حدائق وما فيها من ابنية شاهقة، ولا تخلو تلك المبالغة من حقيقة تؤيدها الآثار الباقية المشاهدة في هذا العهد وقبل البعثة المحمدية بما يقارب القرنين . استولت قبيلة بني حنيفة احدى القبائل العدنانية على مدينة حجر وما حولها وازالت آثار الطسميين .

ولما انتشر الاسلام وفد الحنفيون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا وبعد وفاته ارتدوا عن الاسلام بزعامة مسيلمة المتنبىء الكذاب فبعث اليهم أبو بكر الصديق جيشاً عظيما بقيادة خالد بن الوليد فاخضعهم واستباح بلادهم بعد ان ابلى ذلك الجيش بلاء حسناً وقد جرت اعظم وقعة بين الجيشين في قرية عقرباء الواقعة في الضفة الشرقية لوادي حنيفة المعروف غرب الرياض ثم انتقل خالد رضي الله عنه عن ذلك الوادي الى قرب مدينة حجر فنزل هناك ولا يزال اسم خالد يطلق على مسجد واقع في المحلة المعروفة الان باسم الخراب في طرف الرياض الغربي

وقد ازدهرت مدينة حجر في اول العهد الاسلامي حتى عدت احدى مدن الاسلام العظيمة . قال الحسن بن عبدالله الاصبهاني في وصفها في القرن الثالث الهجري : « حجر سرة اليمامة وهي منزل السلطان والجماعة ومنبرها احد المنابر الاولية مكة والمدينة واليمن ودمشق واليمامة والبحرين والكوفة. وجل اهلها بنو عبيد » وفيها من جميع القبائل كما ذكر غير الاصبهاني. وقال الهمداني : « القرية الخضراء خضراء حجر هي التي التقطها عبيد بن ثعلبة وهي حضور طسم وجديس فيها آثارهم وحصونهم وبتلهم الواحد بتيل وهو هن مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء، من طين. قال ابو مالك لحقت منها بناء طوله مئتا ذراع في السماء وقيل كان منها ما طوله خمسمائة ذراع » .

وكانت حجر مقر والي اليمامة الذي يعينه الخلفاء في عهد الراشدين ثم في عهد الامويين والعباسيين حينما كانت اليمامة تابعة لهم . وبعد ان انحل عقد الخلافة الاسلامية في اثناء العهد العباسي وتوالت الفتن والقلاقل في الجزيرة العربية بدأ شأن تلك المدينة يضعف وزاد في ضعفها قلة الامطار في سنوات متوالية وعوامل الجفاف مما اضعف الزراعة التي هي المصدر الرئيسي لحياة تلك المدينة فاصبحت في القرن العاشر وما بعده عبارة عن قصور صغيرة مبعثرة متعددة منها المنبية والصليعاء ومقرن والعود ومعكال والخراب . واصبح اسم حجر يطلق على جزء صغير من موضع المدينة القديم ثم صار فيما بعد علما لبئر واقعة في الضفة الغربية لوادي الوتر « المعروف حديثاً باسم البطحاء » في داخل مدينة الرياض الحديثة .

وقد اطلق اسم الرياض بعد زوال اسم مدينة حجر على تلك القصور وما حولها من الاراضي الواسعة التي كانت في القديم بساتين وحدائق فغمرت ثم صارت مجمعاً للسيول في اوقاتها تجود بالنباتات زمن الربيع .

وفي ابان قيام الحكومة السعودية الرشيدة تولى امارة الرياض دهام بن دواس الخصم اللدود لتلك الحكومة فاحاط بعض قصور الرياض وبعض بساتينها بسور واحد وظل يحارب تلك الحكومة باهل تلك البلدة مدة تقرب من ربع قرن حروبا شديدة قتل في خلالها ـ من اهل الرياض واتباعهم ما يزيد على الالفين ثم دخلت في حوزة الحكومة السعودية كغيرها من بلاد نجد

وقد اتخذت عاصمة للملك في سنة ١٢٤٠ حينما استولى الامام تركي بن عبدالله بن محمد ابن سعود الجد الثاني لصاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود . وقد انتقل الحكم منها بضع عشرة سنة حتى كان في اليوم الرابع عشر من شهر شوال عام ١٣١٩ حينما استعاد صاحب الجلالة ملك آبائه واجداده فاستولى على بلدة الرياض في ذلك اليوم واتخذها قاعدة لحكمه فبدأت في الاتساع وقويت فيها حركة العمران ،ودخلتها وسائل

الحضارة وكثرت فيها القصور المشيدة المجهزة بالالآت الكهربية، وعبدت طرقها، وكثرت الحدائق والبساتين التي تروى بالالات الحديثة في ضواحيها، وكثر سكانها وازدادوا في السنوات الاخيرة زيادة عظيمة حتى قاربوا نصف مليون نسمة . ويبلغ عدد مساجدها ١٢٥ تصلى الجمعة في ثلاثة عشر جامعاً منها وقد تزيد في ايام الوفود الذين يبلغون في بعض الايام عشرات المئات .

وقد اهتم صاحب الجلالة وسمو ولي عهده الامير سعود بنشر العلم في هذه المدينة فانشئت فيها مدارس حديثة وكان اول مدرسة نظامية اسست فيها هي مدرسة انجال جلالة الملك في منتصف القرن الحالي وكان ممن تولى ادارتها في اول عهدها فضيلة الاستاذ السيد احمد العربي مدير مدرسة تحضير البعثات ويتولى ادارتها في العهد الحاضر فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالله الخياط .

وفي سنة ١٣٦٣ انشأ صاحب السمو الامير مساعد اخو جلالة الملك مكتبة عامة جلب لها امهات الكتب في مختلف العلوم، وخصص لها مكاناً في بيت سموه، اعد فيه غرفة للمطالعة تفتح في اوقات منتظمة وفي سنة ١٣٦٥ قام صاحب السمو الامير منصور يرحمه الله تعالى بانشاء مدرسة حديثة عامة .

ثم أمر صاحب السمو الامير سعود ولي العهد المعظم ترسماً لخطى والده العظيم بفتح مدارس عديدة في المدينة ففتحت مدرستان ابتدائيتان في عام ١٣٦٨ وفي عام ١٣٦٩ فتحت ثلاث مدارس ابتدائية اخرى وفي سنة ١٣٧٠ فتحت مدرسة ثانوية .

وامر صاحب السمو ولي العهد المعظم ببناء مكتبة عامة على الطراز الحديث فتم ذلك في هذا العام وامر سموه بشراء عدد وافر من الكتب المفيدة في جميع العلوم فكان ذلك .

وفي عامنا الحالي ١٣٧١ افتتح اعظم معهد علمي فيها قام صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف آل شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله تعالى بالاشراف عليه وترتيبه وتنظيم الدراسة فيه ورئاسة عمله وتولى فضيلة الاستاذ الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ ادارته وعين للتدريس فيه اساتذة اجلاء من مختلف البلدان العربية من مصر والحجاز ونجد وغيرها، وسارت الدراسة فيه على غرار المعاهد العلمية في البلاد الاسلامية مع ادخال كثير من الفنون الحديثة الضرورية لهذا العصر وقد كثر الاقبال على هذا المعهد لما يبديه صاحب الجلالة وسمو ولي عهده من اهتمام بالغ واعتناء تام بملاحظته وتوفير جميع الوسائل اللازمة له والامل في الله سبحانه عظيم بان تبرز ثمرة هذا العمل الجليل وان يشاهد اثر نفعه.

ومن المشاريع العظيمة التي قامت بها حكومتنا الجليلة لاصلاح مدينة الرياض مد خط السكة الحديدية من ميناء الدمام على ساحل البحر الشرقي الى الرياض وقد احتفل في اليوم التاسع عشر من شهر محرم من عامنا الحالي بوصول القاطرات الحديدية فوق ذلك الخط محملة بالبضائع احتفالا رسمياً ترأسه صاحب الجلالة الملك المعظم . ومن المنتظر ان يتم في هذا العام امر ايصال مياه الشرب الى المدينة من مكان يسمى « السويدي » في وادي حنيفة يبعد عن الرياض ثلاثة اميال تقريباً . كما ينتظر ان تعمم الانارة بالكهرباء في جميع المدينة. ويبذل صاحب السمو الملكي الامير سعود ولي العهد المعظم جهوداً عظيمة للنهوض بمستوى هذه المدينة في جميع المرافق الحيويه حتى تصل الى المكانة اللائقة بها . اطال الله عمر سموه وادام توفيقه في ظل صاحب الجلالة الملك المعظم .

« البلاد السعودية » — **حمد الجاسر**

احصاءات صحفية طريفة

ما تطبعه صحف العالم الكبرى

في آخر احصاء عالمي قامت به احدى مؤسسات الاحصاء، لمعرفة عدد ما يطبع من الصحف الكبرى، ونسبة ما تستهلكه الدول الكبرى من الورق، تظهر الارقام التالية :.

الصحف الاميركية

نيويورك دايلي نيوز تطبع يومياً مليوني نسخة، شيكاغو تريبيون : تسعمئة وستين الفاً، كنزاس ستي ستار : ست مئة وستة وستين الفاً، نيويورك اميركان : ستماية الف، نيويورك تيمس : أربعمئة وخمسين الفاً، نيويورك ورلد تلغرام : ثلاثمئة وسبعين الفاً، بلتيمور صن : ثلاثمئة وخمسين الفاً، لوس انجلوس تيمس ثلاثمئة وعشرة الاف، نيويورك هرالد تريبيون ثلاثمئة الف، نيويورك صن : مئتين وستين الفاً، واشنطن ستار مئة واثنين وتسعين الفاً .

الصحف الفرنسية

فرانس سوار : تطبع يومياً خمسمئة وثلاثة وسبعين الفاً، باريسيان ليبيري : اربعمئة وسبعة وثلاثين الفاً، باري بريس : أربعمئة والفين، فيغارو : أربعمئة والف نسخة، اورور : ثلاثمئة وثلاثة وعشرين الفاً، اومانيتيه : مئتين واثنين وخمسين الفاً،



٢٥ ديسمبر ١٩٥١ - عين الدكتور عفيفي باشا رئيسا للديوان الملكي المصري وعين عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر بلندن مستشاراً للبلاط الملكي في الشؤون الخارجية.

٢٦ - قام الطلبة بمظاهرات عنيفة في القاهرة والاسكندرية احتجاجا على تعيين عفيفي باشا وقد اعلنت حالة الطوارىء في المدينتين.

٢٧ - انتهت مهلة الـ ٣٠ يوما لانهاء مفاوضات الهدنة الكورية دون ان يتوصل الفريقان الى اتفاق كامل وبذلك اصبح لهما الحق في اعادة النظر بخط الهدنة المتفق عليه مبدئيا.

٢٩ - استؤنفت مفاوضات الهدنة الكورية في بان مون جوم.

٣١ - سافر المستر تشرشل رئيس الحكومة البريطانية يرافقه المستر انطوني ايدن وزير الخارجية واثنان من الوزراء والسير وليم سليم رئيس اركان الحرب الى واشنطن لمباحثة الرئيس ترومن في القضايا التي تهم البلدين.

- توفي السيد مكسيم لتفينوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي سابقا عن ٧٥ عاما وتولى مهام وزارة الخارجية من ١٩٢٩ حتى ١٩٣٩

٢ يناير ١٩٥٢ - قال شري نهرو رئيس حكومة الهند: اذا هجمت الباكستان على كشمير قامت الهند بهجوم عام وانقلبت الحالة الى حرب شاملة بين الهند والباكستان.

٣ - استأنفت اللجنة السياسية لهيئة الامم المناقشات حول مسالة انشاء جهاز للامن الجماعي للامم المتحدة على شكل تدابير ذات صبغة سياسية واقتصادية وعسكرية يمكن للمنظمة الدولية اتخاذها ضد كل معتد. وقد هاجم الرفيق اندريه فيشنسكي وزير خارجية الاتحاد السوفياتي للشروع واتهم امريكا بمحاولة اشعال الحرب.

٤ - اشتد القتال في كوريا في الجهتين الوسطى والغربية. وما زال الوفدان يواصلان مفاوضات الهدنة دون نتيجة.

٥ - حصلت يوغوسلافيا على ٢٥ مليون دولار كمساعدة للستة الاشهر الاولى من العام الحالي ضمن نطاق المساعدة الاقتصادية الثلاثية الأميركية - البريطانية - الفرنسية.

٧ - استقالت الحكومة الفرنسية التي يرأسها المسيو بليفن بعد ان خذلها المجلس الوطني

- بدأت في واشنطن الجلسة الاولى من محادثات ترومن - تشرشل.

- اعلنت الامم المتحدة ان المملكة الليبية قد تقدمت في ٢٤ ديسمبر بطلب للانتساب الى هيئة الامم.

- وصل الى بور سعيد اسطول من سفن الصيد السوفيتية يضم ٣٣ سفينة تحرسها دارعة حربية وهي اول مرة تقوم فيها قطع سوفيتية بزيارة الموانىء المصرية.

٨ - وقع اتفاق مساعدة بين يوغوسلافيا والولايات المتحدة فتقدم امريكا ليوغوسلافيا المساعدات لانعاش صناعتها وزراعتها على ان تتعاون يوغسلافيا مع الدول المتحالفة مع امريكا فتخفف الحواجز التجارية.

٩ - اصدرت الحكومة البرتغالية بلاغا اعلنت فيه اعتقال عدد من زعماء مؤامرة كانت تحاك ضد سلامة الدولة.

- استقالت الوزارة البلجيكية التي يرأسها السيد جوزف فوليان.

- صدر بلاغ في واشنطن عن المحادثات بين ترومن وتشرشل. ويعلن البلاغ رغبة الحكومتين في السعي لتصفية الخلافات في العلاقات مع الاتحاد السوفياتي دون هجر سياسة التسلح في الغرب.

١١ - توفي الجنرال دولاتر دو تاسيني بعد اجراء عملية جراحية له في احد مستشفيات باريس وهو من المع قواد فرنسا.

١٢ - منحت الحكومة الفرنسية الجنرال دوتاسيني رتبة ماريشال فرنسا بعد الوفاة.

- القى المستر انطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية خطابا بنيويورك قال فيه « انه يعتقد ان اخطار وقوع حرب عالمية هي الان اقل مما كانت عليه قبل عام او عامين ».

١٤ - قرر رأي الدول الغربية الثلاث على درس المقترح السوفياتي الرامي الى تحريم القنابل الذرية وبتخفيض التسلح بصورة جدية.

- قدمت الحكومة التونسية عريضة طلبت فيها عرض خلافها مع فرنسا على مجلس الامن

١٥ - قررت الحكومة الامركية قطع كل معونة عسكرية عن ايران حتى تتعهد بان تتقيد بقانون الضمان المتبادل وتوقع اتفاقا تتعهد بموجبه ان تؤدي دورها في الدفاع عن العالم.

- الف السيد جان فان هوت الوزارة البلجيكية وهي ثالث وزارة للحزب الاشتراكي المسيحي منذ انتخابات ٤ يونيو عام ١٩٥١

١٦ - اعلن في القاهرة ولادة ولي عهد المملكة المصرية للملك فاروق والملكة ناريمان وقد سمي « احمد فؤاد » واطلق عليه لقب « امير الصعيد ».

١٧ - احتجت الحكومة البريطانية بمذكرة شديدة اللهجة على الحكومة الايرانية لاغلاقها القنصليات البريطانية في ايران.

١٩ - ختم المستر تشرشل محادثاته مع الرئيس ترومان وصدر بلاغان رسميان وجاء فيهما ان المستر تشرشل يعلن قبوله تعيين اميرال امريكي لقيادة القوات البحرية التابعة لحلف الأطلسي. وان الحكومتين اتفقتا على تبادل العون في المواد الخام الأساسية للصناعة الدفاعية فتقدم امريكا مليون طن من الصلب الى بريطانيا مقابل تنك والومنيوم تقدمهما بريطانيا.

٢٠ - ما تزال الاشتباكات العنيفة قائمة بين الفدائيين المصريين والقوات البريطانية في منطقة قنال السويس.

- اعلن الاضراب العام في تونس احتجاجا على اعتقال الزعيم حبيب بورقيبة وعدة زعماء وطنيين، وقامت مظاهرات وقع فيها جرحى.

- الف المسيو ادجار فور الوزارة الفرنسية

٢٢ - لم تلب الدول النداء الذي كان وجهه اليها المستر تشرشل رئيس الحكومة البريطانية لارسال قوات الى منطقة قنال السويس الى جانب القوات البريطانية بحجة الدفاع عن حرية الملاحة

٢٤ - اعلن الرئيس ترومان انه سيطلب الى الكونجرس فتح اعتمادات اضافية تتراوح بين ٥ و٦ مليارات من الدولارات لتوسيع برامج الأعمال الذرية ولتنفيذ التصاميم التي وضعت لانتاج انواع جديدة من الاسلحة الذرية وقال ان قوات امريكا المسلحة ستبلغ في العام ١٩٥٣ اربعة ملايين بين رجل وامرأة

دار الطباعة والنشر اللبنانية - بيروت
تليفون 98 - 35